قوة مصـــر

في القــرآن الكريـــــم

صلاح الدين أبو العنين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الرسول الصادق الأمين خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن إتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد أردت بهذا الكتاب أن أتكلم مع جميع إخوتي واخواتي حديثًا موجزًا وإن كان بَيِّنًا يُركِّز على بيان القواعد العلمية العامة الكلية والفرعية وكافة النقاط الرئيسية ... وكثيرًا ما يترك المسائل التفصيلية الفرعية لخيال القارئ ... والمختص ... ويُعطي الفرصة سانحة للتفكر والتدبر ... كما يترك الكثير للرؤية والرؤيا ... للإضافة والتنوع من كنوز كتاب الله الكريم... فيزداد الناس رحمة ونورًا ويقينًا.

وهذا الكتاب

بهذه المثابة؛ ليس بحثًا، ولكنه نتاج دراسة وإستنباط وتَذكُّر من نبع النور الإلهي في آيات القرآن العظيم، لمنهاج الحياة في هذه الدنيا .. لقوة مصر.

ولأنه كذلك

فهو حق لقوله تعالى: ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ [الكهف : ٢٩]

صلب هذا الكتاب

أولاً : مضمون القرآن الكريم

﴿ . . . ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾

[النحل : ٨٩]

ثانيًا : العمل بالقرآن الكريم

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾

[محمد : ٣٣]

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾

[آل عمران : ٣١ ، ٣٢]

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

« الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل » أي العمل بالقرآن و« القرآن حجة لك أو عليك » .

ثالثًا : ترك القرآن كله أو الأخذ ببعضه

﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦]

﴿ . . . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ [الأنعام : ١٤٨]

﴿ قتل الخراصون ﴾ [الذاريات : ١٠][1]

---

(١) الظن هو الشك والريبة ، والخرص يعني الكذب . والخراصون الكذابون .

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾

[طه: ١٢٤]

﴿ ... أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب؛ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة: ٨٥]

رابعًا : عدم الأخذ بكتاب الله

قال سبحانه وتعالى :

﴿ إنَّ الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم. إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون ﴾ [النحل: ١٠٤، ١٠٥]

ويتخذون « الكفرة » أولياء ويتبعون نهجهم، قال العلي الكبير:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينا ﴾ [النساء ١٤٤] ومثل ذلك الآية [المائدة: ٥١]

إِنَّها تَذْكِرةٌ

من قبل أن تأخذ قارأت الأرض هيئتها الحالية . كانت منطقة الفيوم هي منبت البشر حين « النشأة الأولى »[١]؛ وبالتالي كانت هي نقطة إنطلاقهم في رحلات متتالية هجرة إلى الشمال ... هربًا من زحمة البشر .. وأشياء أخر .. ولم يكن البحر المتوسط إلا بحيرتين؛ واحدة في شمال مصر والأخرى في شمال الجزائر؛ وأفريقيا وأوروبا وآسيا على إتصال بري .

فلما انفصلت القارأت وأخذت هيئتها الراهنة في المد الثاني للأرض في حقب الحياة الحديث في عصر « الميوسين » .. ووجد البحر المتوسط؛ فقد صارت « مصر » على ناصية إفريقيا وآسيا ... وقبالة أوروبا الشرقية . ومن ثم صارت طريقًا للعبور من الغرب إلي الشرق والجنوب والعكس .

وبهذا الموقع الفريد العبقري[٢]

وبحضارة مصر الهائلة العظمة، الفخيمة الهيئة، السحوقة العلم، العميقة الحكمة، الظاهرة الأثر، القوية الجذور والبيان، المتفردة بذلك كله على العالمين .. فيصفها الخالق العظيم وأهلها ﴿ ... كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض ... ﴾ [غافر : ٨٢]؛ ويصف حالها إقتصاديًا وإجتماعيًا ﴿ .. جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم ﴾ [الشعراء] . وأول إمبراطورية في تاريخ البشر[٣] .

ومن ثم

يطلق عليها العليم الحكيم سبحانه إسمًا سموًا بها وبشأنها من دون أنحاء الأرض

---

(١) كتاب : « حكاية البشر علميًا » صلاح الدين أبو العنين .

(٢) كتاب : « شخصية مصر – عبقرية المكان » د . جمال حمدان .

(٣) كتب التاريخ .. إمبراطورية تحتمس الثالث .. وامبراطورية رمسيس الثاني (في عصر الدولة الحديثة – الأسرات ١٨ – ٢٠) في السنوات من ١٥٧٠ إلى ١٠٨٥ ق.م .

كلهم... «مصر».. لم يجعل له من قبل ولا من بعد سميًّا.. ثم يتجلى سبحانه ببعض نوره على أعظم جبل في الأرض ليوحي إلى رسوله موسى.. ثم يُقسم بالجبل هذا على فاتحتي سورة التين وسورة الطور.. تعظيمًا وتكريمًا لآياته العظيمة فيما أقسم به.. للعالمين!!

ثم دارت على «مصر» دول الأيام

فعلى مدى نيف ومائة وألف عام.. منذ سنة ٥٢٥ ق.م إحتل مصر الفرسُ ومن بعدهم اليونان فالبطالمة فالرومان، حتى فتحها الله للمسلمين سنة ٦٤١م. ثم منح ملكها للمماليك وعلى عهد قانصوه الغوري وطومان باي سنة م. دخل العثمانيون مصر منضمة بذلك إلى الخلافة الإسلامية لآل عثمان بزعامة تركيا حتى احتلها نابليون سنة ١٧٩٨م. ثم احتلها الانجليز سنة ١٨٨٣م إلى سنة ١٩٥٦م حين الجلاء عنها[١].

وإذا كانت بعض الاصلاحات قد تمت في عصري الاحتلال الفرنسي والانجليزي، إلا أن مصر كانت دائمة القلاقل والانتفاضات الثورية ضد المحتلين.. كما أنها خاضت أربع حروب في سنوات ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣. مما إستنزف الكثير من أموالها واستشهد فيها عشرات الآلاف من خيرة أبنائها.. وانشغالها بذلك عن شئونها الداخلية حتى صارت مرافقها شبه خربة الأمر الذي تطلب المليارات من الجنيهات لاصلاحها.

وزاد عدد الناس... من أربعة ملايين إنسان على أول القرن ١٩ إلى ٦٥ مليون على نهايات القرن ٢٠... مع بقاء المساحة المنزرعة تقريبًا على ما كانت عليه إلاَّ قليلاً.. كما بقيت مصر – على خلاف أوروبا في نهضتها الصناعية – خلوًا من الصناعة وقيمتها الفاعلة.. فلم تقو.

---

(١) بعد حرب سنة ١٩٥٦م في عهد الرئيس جمال عبد الناصر.

ومع أن البشر هم المستخلفين في الأرض لإعمارها؛ أي القوة الفاعلة لتعميرها.. فإذا زادوا عدداً إزدادوا قوة.. إلا أن كثيراً من الظروف والأسباب حالت دون ذلك.

أولاً: الجهالة العلمية بمقومات الصناعة مع ترك المنهج القرآني أوقفا باب الاجتهاد وما ترتب على ذلك من ركود فكري وخمول بشري وإحتلال أجنبي وعوامل التغريب القانوني والاجتماعي وقهر الاحتلال لنفوس الناس.

وثانيها: بناء الشق الأول من السد العالي وإرجاء الشق الثاني منه (قناة التحويل أو معابر لمياه النيل وقت الفيضان) وتخزين الماء حتى إرتفاع ١٧٥ متراً فوق سطح البحر، وما ترتب على ذلك من: ١ – فقدان الماء لبعض عناصره. ٢ – ظهور جراثيم وميكروبات لم تكن معروفة من قبل. ٣ – ترسب الطمي في بحيرة السد بمعدل ١٫٠١ متراً كل سنة مما يهدد بصيرورة البحيرة إلى دلتا وهذا يعتبر « إنتحار لمصر ». ٤ – ظهور أمراض لم تكن منتشرة من قبل لفساد المياه مثل الفشل الكلوي وأمراض الكبد خصوصاً فيروس (سي). ٥ – استخدام الأسمدة الكيماوية لتعويض التربة الزراعية عن الطمي. ٦ – استخدام المبيدات الكيماوية الحشرية.. مما أشاع سمومها في كل المنتجات الزراعية والحيوانية. ٧ – النشع الرهيب في التربة حتى جعل الصرف مشكلة عظمى.

وثالثها: ١ – تدريس « الأفكار » العلمية للمشركين على أنها « حقائق » علمية.. ولأنها مناقضة للدين فقد أحدثت إضطراباً في صدور الناس، وإنتقلت بالإيمان من اليقين إلى العاطفة.. التي سرعان ما تبرد ثم تزول... فتضيع كل القيم السامية.. ويزول الخوف من الله.. فتنفر الجريمة من عقالها.

٢ – العمل على إهدار اللغة العربية في التعليم والاعلام ومظاهر كثيرة من أنماط الحياة ... فيضيع من الناس كيف قراءة كتاب الله العظيم.. فيصعب عليهم قراءته ثم فهمه.. فيترك .. وهو المطلوب.

٣ – العمل على طعن الأسرة المسلمة في نواتها وهي « الزوجة » حتى يتفكك المجتمع وينهار تماسكه فيضعف وبالتالي تذهب ريحه وقوته.. ماديًا وخلقيًا وإجتماعيًا ودينيًا.

ورابعها: الأخذ بمظاهر الحياة الغربية المشركة في « اللباس » و« ظهور » النساء في المجتمع كاسيات عاريات و« اختلاط » الجنسين في مراحل التعليم المختلفة في سن المراهقة وشبوب الغريزة الجنسية مما أظهر للمجتمع علاقات زنا باسم الزواج العرفي السري بين التلاميذ والتلميذات.

وخامسها: غياب دور الأزهر الشريف تمامًا. بل وإختراقه في منهاج التعليم وتدريسه للعلوم المادية على الفكر المشرك المناقض للقرآن خصوصًا في علوم الطبيعة... وعدم قيامه بنصح الناس حاكمين ومحكومين بشريعة الله... ووصف الباطل بأنه باطل وقول الحق من كتاب الله العزيز الحكيم... فإنتشرت الفتاوى من غير أربابها وشاع الكثير من الخطأ بل والضلال بين الناس... بل واختلطت على الكثير منهم أمور حياتهم.

كل ذلك.. وغيره.. قد جعل من الزيادة السكانية وما هي فيه من إحباط وقهر سببًا للتخلف والذهول!! فلا تعرف ماذا تعمل.. فنشط بعض شذاب الناس إلى تسلق المسئولية.. وإذا بالناس في أزمة مأوى ومسغبة طعام وقعود للرجال واتجار بالنساء وهبوط في التعليم وتلوث في البيئة وفساد في الماء والتربة وخلل إجتماعي سيما في كبير المدن وغش في المعاملات وكذب في ساحات القضاء.

ومن ثم

كان لا بد لمقابلة أصعب أزمة وهي « الجوع » أن تقوم الجهات المختصة بشراء الطعام من الدول الأخرى... فإقترضوا لشراء الطعام.. ووقعت الدولة فريسة لهذه القروض.. وكان لا بد من سداد القروض فباعت الدولة بعض عناصرها الاقتصادية

لسداد القروض (مصانع وشركات) وما زالت على الدرب تسير باسم حرية « رأسمالية السوق »!!

ونتيجة حتمية

حدثت إنهيارات إقتصادية.. دليلها أن سعر الجنية أصبح ١/٢٢٧ من قيمة الجنيه الذهب سنة ١٩٥٠، و١/٩ من الدولار الامريكي سنة ١٩٥٠ أيضًا. فظهرت الأسعار وكأنها قد ارتفعت.. ولم يحدث توازن مع الدخول فصارت المعيشة ضنكًا.. ووقعت الكثير من جرائم الرشوة لسد الفجوة بين المرتبات ومطالب المعيشة.. ثم تضخمت وصارت سلوكًا من الصغير حتى الكبار...

وكان والأمر كذلك؛ أن يُصاحب هذا كله تدني في الخدمات وتهريب الأموال حتى تكونت أرصدة ضخمة في البنوك الأجنبية في الخارج.. مما حَرَّض آخرين على إبتزاز أموال المواطنين المودعة في البنوك تحت مزاعم بمشروعات خادعة بغير ضمان حقيقي بالتواطؤ مع بعض القائمين على إدارة هذه البنوك مستغلين أن القانون لا يلزم البنوك بأخذ ضمان مادي للقروض.

وتدنت أزمة الإسكان.. حتى ظهرت مساكن عشوائية لملايين البشر من غير القادرين.. بل إن آلافًا كثيرة من الناس تسكن القبور... وآخرين يفترشون الأرصفة ويلتحفون بالخرق البالية... رجالاً ونساءً وأطفالاً.

وقامت الكثير من مشروعات الإسكان لأصحاب المال.. ڤيلات وقصور وبحيرات صناعية... وقامت الحكومة بمشروعات إسكان لذوي الدخل المحدود والشباب الذي لديهم القدرة على دفع آلاف الجنيهات، مع أن التناقض واضح بين الدخل المحدود والشباب وآلاف الجنيهات؟!!

وأما فقراء الناس وساكني القبور والأرصفة وغيرهم.. فلا تفكير في رحمة تقوم بهم ويقومون بها.. من زحمة السكن لأكثر من أسرة في شقة واحدة أو حجرة

واحدة.. أو في القبور.. أو في الطرقات.

وظلت شبه جزيرة سيناء (أكثر من عشرة مليون فدان) خربة إلا من بعض نقاط فيها، تعربد فيها عصابات زراع وتجار المخدرات.. وتقوم جهات الأمن العام بجهود هائلة في ملاحقتهم.. وكان الأجدر العمل بتركيز وبسرعة لتعميرها.

واتجهت الأيدي والعيون إلى عميق صحراء مصر.. في منطقة قيل إن خبراء أمريكيين؟! حددوها كبديل ثالث بعد سيناء والحزام الذي يدور حول القاهرة لاستزراع المحاصيل والطعام ليقابل زيادة عدد السكان.. فكانت مشاريع الجنوب هذا باهظة بل خرافية التكلفة؛ بعيدة الجدوى، مرهقة الإقامة، صعبة العمل.. في منأى من طيب الجو ورحمة الأرض.. ومع ذلك قيل عدواً على الحق.. إن مفكري مصر (بعض صحفيي الجرائد الحكومية والفنانين)!! قد أقروا المشروع.. متجاهلين علماء مصر؟!!

وأعلن عن مشروع « شرق التفريعة » و« غرب خليج السويس » لإيجاد « وظائف » للشباب العاطل؟!! ولم تفكر الحكومة أبداً في استكمال الشق الثاني من مشروع السد العالي إنقاذاً لمصر وأرض مصر وأبناء مصر!!

وعملت أجهزة الاعلام والثقافة على تكريس المفاهيم الغربية البعيدة عن الدين ونشر الإباحية الجنسية بالصورة وخلطت الحلال بالحرام والحق بالباطل بمقولة غير صحيحة عن معني حرية الفكر والتعبير.

ولما كان هذا وذاك قد كرَّس الأزمات وضيَّق الخناق فولَّد إحباطًا سلَّم الشباب للقهر الغربي الذي برزت بعض مظاهره في تقليد الغرب لباساً ولساناً وطعاماً ومجوناً وثقافة وإعلاماً وعرياً وجرائم جنسية لم يكن لها وجود من قبل.. زيادة على تفاقم البطالة والفساد والانهيار.

فقد جاء هذا الكتاب

مستمداً كله من القرآن الكريم.. منهاجًا إلهيًا رحمة وهدىً وشفاءً..

قال العلي الكبير :

﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٩]

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ ... إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ [النمل : ٨١]

.[الروم : ٥٣]

وقال جل جلاله :

﴿ وإنه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تُسألون ﴾ [الزخرف : ٤٤]

والله من وراء القصـــد

الفصل الأول

في طور سينين

نور على الجبل

إذا نظرت إلى السماء؛ إلى صفحة الكون، يقع الشرق على يمينك والغرب على يسارك وتجد النجم القطبي في عالي الصفحة يحدد شمال الكون وشمال الأرض معًا.

فإذا أسقطت عاموداً من النجم القطبي إلى الأرض، وجدته ينزل مباشرة على « جبل الطور » في الوادي المقدس « طوى » على الشاطئ الأيمن له(١).

ومن ثم؛ تدرك؛ علمياً؛ أن هذا المسقط الكوني يقسم الأرض إلى قسمين متساويين وبالتالي فإنَّ هذا المسقط الكوني يكون هو – ضبقًا لصحيح الوضع الكوني – هو خط الصفر الذي يبين خطوط الطول على سطح الكرة الأرضية وبالتالي تتحدد مواقيت الشروق والزوال والغروب على حقيقتها في الإبراء الكوني لها.

ويبين رب العالمين هذا المكان تحديداً في أثناء حكايته عن نبيه موسى قائلاً ﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنِّي أنا الله رب العالمين ﴾ [القصص: ٣٠]

وعندما تسقط عموداً من النجم القطبي ماراً بمركز القطب الشمالي (شريطة إعتدال الكرة الأرضية كما خلقها الله) ستجد هذا المسقط الذي يمر بالشاطئ الأيمن للوادي المقدس طوى يمر فوراً بالبيت العتيق الكعبة المشرفة مركز الكرة الأرضية الذي ثبت صحته بالأجهزة العلمية الحديثة.

---

(١) الخرائط الموجودة في الأطالس الجغرافية الحالية في كل بلاد العالم ترسم خط الصفر على خط الطول الذي يمر بمدينة جرينتش الإنجليزية. وهذا تم منذ أيام أن كانت انجلترا تُسمى بريطانيا العظمى وسيدة البحار وممتلكاتها المستعمرة لا تغرب عنها الشمس. فهو عمل إستبدادي لا أساس له من الحق الكوني.

ويقول علماء الجغرافيا إنه لم يمكن تحديد الوادي المقدس طوى حتى الآن لعدم وجود ما يدل عليه.

ولكن كما بينا آنفًا فإن « المسقط » سالف البيان يحدده؛ كما أن ثمة « أمارة » عليه؛ هي الشجرة التي بها « البقعة المباركة » وهي لا بد أن تكون قائمة حية حتى الآن وستظل كذلك إلى يوم القيامة طالما أن النور الإلهي قد تجلى بها، فاكتسبت منه الخلود، إلى أن يقبض رب العالمين الأرض جميعًا.

شبه جزيرة سيناء

ومساحة شبه جزيرة سيناء ١ / ١٦ من مساحة « مصر » .. ولكن لأن شبه جزيرة سيناء فيها البركة الزراعية وكثير من الخيرات، فإن مساحة أرضها التي تزرع – وهي كلها يجب زراعتها – تبلغ ثلاث أضعاف الوجه البحري لوادي النيل.

وعندما تبحث في أسباب عدم تعمير سيناء طوال آلاف السنين؛ ربما تكتشف أن ذلك قد يرجع إلى سببين: الأول أنه ليس ثمة أنهار تروى أرضها التي ليست مستوية كلها ... وعلى مقربة منها يوجد نهر النيل العظيم المتعدد الروافد، في ذلك الوقت، فالتف حوله الناس في أرض سهلة منبسطة كثيرة الزرع. والثاني حب تماسك الشعب المصري في قراباته ولأرضه التي ولد عليها .. فهي تعطيهم وليس لهم في غيرها حاجة .. إنهم يعيشون في ﴿ ... جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨]. فظلت سيناء مهجورة أو تكاد.

ولأنها كذلك، فقد سلك الغزاة سيناء طريقًا إلى إحتلال مصر الغنية الدائمة الخضرة الواقعة في مركز العالم والأخطر بعد قناة السويس على طول التاريخ قديمه وحديثه على سواء.

ذلك بأن تهيأ الفكر السياسي العالمي الحديث لشق « قناة السويس » لتكون الوصلة البحرية بين الغرب والشرق وسارع نابليون لبحث الأمر واحتلال الموقع الفريد ونكاية

في بريطانيا عدوة فرنسا، ولحقت به انجلترا في أسطول بحري دمَّر الأسطول الفرنسي وضيع أحلام نابليون، فقد سارعت بريطانيا فور تمام حفر القناة واحتلت مصر سنة ١٨٨٣ لتكون لها معبرًا إلى كافة مستعمراتها في آسيا والشرق واستراليا ونيوزيلاندا.. وركيزة حربية لها في مصر مركز القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا.

ورغم زيادة أهمية شبه جزيرة سيناء وخصوبة أرضها وإتساع مساحتها وخلوها إلا من قليل من البدو الرحَّل ورغم ما فيها من خيرات كثيرة؛ فإنها ظلت مهجورة بعيدة عن دائرة الاهتمام.

فلما زاد عدد سكان مصر أضعافًا، فقد بدأ الناس يفكرون.. في اللجوء إلى سيناء... وأقيم وصلاً لها نفقًا تحت قناة السويس عند السويس، وحفرت ترعة بصحارة تحت القناة في الجهة الشمالية منها فعبرت ماء النيل إلى العريش وشرق القناة ليروي أقل من نصف مليون فدان..؟!

ولأن خطط تعمير سيناء تسير طبقًا لنظم الري القديمة التقليدية. (ترع ومصارف) مع أن تحتها خزان مياه جوفي يكفي زراعتها إلى أن تقوم الساعة!! فإن التكلفة الخرافية للترعة والصحارة جعل العقل يتصادم.. فكره مع الواقع المعروف للجميع.. ويتساءل هل هي بلادة إعمال الفكر أو خطأ الدراسة أم أسباب أخرى خافية!؟ ذلك بان رفع الماء بالآبار في كل أرض سهول سيناء لن يتكلف ١ / ٥٠ من تكلفة الصحارة والترعة؟!

فإذا تساءل إنسان عن السبب في إهدار مال الشعب وتخلف الفكر والوسيلة ومن ثم بطء العمل وقلته لم تجد إجابة إلا إتهام السائل أو تهديده!!

ولعدم وجود حرية كاملة

فإنك لا تجد مناقشة حرة وفعالة ذات نتائج عملية، سيمًا وأن اليهود قد أحالوا صحراء النقب اللصيقة بسيناء منذ عشرات السنين إلى جنات وعيون بنظام الآبار..؟!

شمال سيناء – السهول

إن الأرض المستوية – السهول – في شمال سيناء تبلغ رقعتها حوالي ٥ر٣ ثلاثة ملايين ونصف مليون فدانًا.

ولك أن تتصور القدر الضخم من الانتاج أي الدخل القومي المهول الذي تعطيه هذه الأراضي من المحاصيل الحقلية على إختلاف أنواعها عند زراعتها..!!

ولأن الجو والمناخ طيب على مدار السنة؛ فإن ذلك يعني إمكانية زراعة هذه المساحة الواسعة بثلاث نوبات زراعية في السنة؛ تمامًا كما هو في وادي النيل.

والثابت أن أرض سيناء من أخصب الأراضي الصحراوية التي طمرها طمي النيل منذ آلاف السنين حسبما هو ثابت جيولوجيا وجغرافيا؛ فإذا رويت بماء الآبار الكاملة العناصر، فإن ذلك يضمن عظمة الانتاج حجمًا ومذاقًا وشكلاً.. بدليل قوله تعالى:

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض، ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه... ﴾ [الزمر: ٢١].

وتنوين « زرعًا » يفيد الكثرة طبقًا لقواعد النحو؛ كما أن « مختلفًا ألوانه » كناية عن كثرة أنواعه ونضجها على أحسن حال.

ولأن « يخرج » فعل مضارع فهو يفيد الحال والاستمرار أي أن الماء الموجود بالينابيع – الخزان الجوفي – لن ينفد أبداً.

ولأننا نقرأ الآية إلى قيام الساعة، فإن ذلك يعني أن الخزان الجوفي يكفي زراعة سهول سيناء – التي تحتها هذه الينابيع الجوفية – إلى قيام الساعة !!

فلماذا لم نستعمل خزان الماء الجوفي؟! صنعة الخالق العظيم ومنهجه في قرآنه الكريم؟!

الجبلُ الجنَّة

إن الناس في مصر إعتادوا على زراعة السهول، فهكذا وادي النيل منذ آلاف السنين! ولذلك لم يفكر أحد في زراعة « الجبل » .

كما أن تدريس علم الجغرافيا في المدارس يجعل الجبل باللون البني لون الحجر ويجعل لون السهل باللون الأخضر لون الزرع . فاستقر في نفوس الناس أن الزراعة تكون في السهول ولا تكون في الجبال!!

ولكن – مع مزيد الأسف للغباء[1] والجهل والبلادة الثلاثة معًا – إذا نظرنا في الجبل بالرؤية العصرية فقط وقرانا الكتب التي وصفت جبل الطور علميًا، لعلْمنا بعد الرؤية والدراسة أن جبل الطور هو أكثر من عشرين جبلاً وفيه أكثر من مائة وادي وهضبة فضلاً عن آلاف المصاطب الجاهزة والتي يمكن تجهيزها على سفوح تلك الجبال « الجبل الطور » . . وهذه جميعًا مساحتها تبلغ حوالي ستة ملايين فدانًا!!

وهي أشد خصوبة من أي أرض أخرى في العالم أجمع . .

وهي لن تحتاج إلى ماء من نهر النيل ولا إلى عيون .

فإن الله سبحانه بكرمه وحنانه ينزل عليها سيولاً – وليس أمطاراً فقط – وهذه السيول تملأ مسام هذه الأرض بالماء فتجعلها صالحة للزراعة خصوصًا تلك المزروعات التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ والتين والزيتون * وطور سنين ﴾ [التين : ١ ، ٢] .

فإذا زرعت هذه الوديان والهضاب أساسًا بالتين والزيتون، فإن ذلك يستجلب بالتبعية كل أنواع الفواكه الأخرى التي بيَّنها القرآن وركزَّ على أهميتها وهي النخيل والأعناب والسدر (النبق) والرمان والطلح (الموز) وفاكهة كثيرة كالتفاح والكمثرى

---

(١) الغباء هو الوقوف بالإرادة عن إدراك العلم .

والجوافة.. إلخ إلخ مع كثير من القضب (الخضر والفاكهة التي تنبت على وجه الأرض)؛ الأمر الذي يجعل «الطعام» في وفرة الهواء للناس جميعاً.!!

والسيول التي تسقط على هذه الجبال يجب أن تعمل لها السدود التي تخزنها على مدار العام.. وليس «المخرات» التي تضيعها هباءً وغباءً.

ذلك بأن الله الكريم العظيم أخبرنا أن تكوين السحاب وتصريف الرياح وتسخير المزن[1] وإنزال المطر والثلوج هو أمر من أموره وقدر من قدره في قوله تعالى:

﴿الله الذي يُرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء، ويجعله كسفًا (قطعًا) فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ [الروم: ٤٨].

وقوله تعالى:

﴿ألم تر أن الله يُزجي (يسوق) سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله، ويُنَزِّل من السماء من جبالٍ فيها من برد (قطع الثلج)، فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾

[النور: ٤٣]

فالأمر كله لله سبحانه وحده[2]؛ فإذا أنزل الله العظيم المطر والسيول على أي مكان في الأرض، فإنما يقول للناس، أزرعوا هذه الأرض وأقيموا فيها لأنه جعل من الماء كل شيء حي. والله العظيم لا يهدر رزقه (ماء المطر) فيلقيه سفهاً بغير علم.. ويجب على الإنسان العاقل أن يحافظ على كل نقطة من هذا الماء فيستعمله فيما أرسله الله مع

(١) المزن السحاب الثقال المحملة بالماء الكثير. وكما في قوله تعالى: ﴿فالحاملات وقرًا﴾ [الذاريات: ٢] ومعنى وقرًا أي ثقلاً.. إستعارة مكنية عن الماء.

(٢) إن المؤلف هو أول من نادى بزراعة جبل الطور.

عدم تخزينه لأكثر من دورة هذه الأمطار والسيول حتى لا يفسد ويأسن.. وأن يستعمل هذا المطر وهذه السيول في ذات المكان الذي أنزلها الله فيه.

وهذه الأمطار والسيول يجب أن تُعمل لحفظها السدود من أحجار الجبل وبعض الأسمنت والحديد بالقدر اللازم؛ وضرب الله العظيم لنا مثلاً في سد مأرب في قوله تعالى:

﴿ لَقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ: ١٥]

نعم إن سيناء أعظم مكان في الأرض جميعًا.

فإن الله سبحانه يصفها بأعظم الأوصاف كما جعل جبلها كثير البركة والخير بلا حدود!!

جناحُ الرحمة القوى

إن قيام بعض البدو من تجار المخدرات يزرعون آلاف قطع الأراضي فوق جبل الطور بأشجار الخشخاش والقنب يعطينا الدليل الحاسم على « تنبلة » وزارة الإصلاح الزراعي وعدم جديتها في عملها، وأن وزارة الزراعة مقصورة على الأنماط القديمة في الوادي، وكأن سيناء ليست جزءاً مهمًا بل وأهم جزء في مصر.

إن دراسة شبه جزيرة سيناء جغرافيا وجيولوجيا وزراعيًا تعطينا الأدلة القاطعة على أنها خير مكنوز ينتظر من يمد إليه يد العمل، فالخير فيها بغير حدود.

ولا شك أن « توطين » ملايين من شباب مصر المؤهل العاطل بغير عمل وأيضًا الذي يعمل عمالة صورية في كثير من دواوين الحكومة والشركات العامة، المعبر عنه بالبطالة المقنعة التي نتج عنها الترهل الإداري فالفساد الإداري..، سيقضي حتمًا على هذه « المصيبة » التي تشل الحياة في نظام العمل ومسئولياته.

ولا شك أيضًا أن هذا « التوطين » سيقضي حتما على أزمات التكدس السكاني والخلل الاجتماعي والهبوط الأخلاقي[1].

إن « تسكين وعمل » هؤلاء جميعًا في جبال وهضاب وسفوح ووديان طور سيناء، وعملهم في الزراعة والبناء والتشييد والتحصين والصناعة والتعدين، سيقيم مجتمعات جديدة عاملة بناءة معطاءة. وسيكون هذا قضاءً مبرمًا على أكثر المشاكل الموجودة حاليًا وأخطرها. وهو مشكلة البطالة والتكدس السكاني وقلة الانتاج وشراء الطعام من الخارج بالقروض.. إلخ.

إن الترهل الاداري الوظيفي واعتياد الشباب على طلب الوظائف والجلوس إلى المكاتب، كان في حقبة زمنية ماضية متخلفة لخدمة الاحتلال الانجليزي.

والآن فإن على العلماء المتصدين للتوجيه العام وتوجيه المجتمع أن يصوغوا الموقف العام الاجتماعي الجديد ويجعلوه في آفاق تعمير الأرض بالزراعة والصناعة. كما يجب على وسائل الاعلام ووسائل النشر الثقافي المرئية والمسموعة والمقروءة في كل ما يصدر عنهما بتوجيه الناس عامة والشباب خاصة إلى الإنخراط في تبني هذا الموقف وممارسته عمليًا، والعمل على تصحيح الهيكل الاداري ونقل الموظفين الزائدين عن صحيح العمل بالمبادئ الادارية العامة إلى شبه جزيرة سيناء لممارسة كافة مسئوليات توطين الشباب وتنظيم العمل وإرشاد الناس إلى كيفية زراعة الأرض وبناء بيوتهم وترشيد عملهم وتحصين مجتمعهم ضد أية خبائث قد تصل إليهم عن طريق.. أو آخر.

وإذا علمنا أن أعظم دليل على تخلف الدول هو تصديرها لموادها الخام ثم استيرادها مُصَنَّعة، وعلمنا أن هذا العجز له مظاهر وظواهر إقتصادية مميتة للدولة والمجتمع الاثنين معًا.

---

(١) حتى صدر قانون يعاقب على البلطجة التي صارت ظاهرة ليست قاصرة على الفئة الدنيا من الناس!!

وأن هذا الأمر الفادح لا يليق أن يكون عنصراً من عناصر العمل والاقتصاد في مصر حين تصدر البترول والقطن خاماً... وهي الدولة الأم لدول العالم في قديم الزمان، والأعظم حضارة وتقدماً ورقياً بشهادة آثارها وما فيها من علوم تنطق بهذا.

إذا علمنا ذلك

فكان لا بد وأن نجعل وبمنتهى السرعة من صناعات البترول الأولية والمتقدمة معاً وصناعات النسيج بكافة أشكاله وأنواعه وصناعات الزجاج والمنجنيز والجلود والمصنوعات الغذائية... إلخ عنصراً مهماً من عناصر العمل في مصر وفي سيناء بالذات.

الجبل ..... الجبل!

عندما أقسم الخالق العظيم.. لم يقسم بسيناء وإنما أقسم بجبل الطور في قوله تعالى:

﴿ والطور ﴾ [الطور: ١]

﴿ وطور سنين ﴾ [التين: ٢]

والقسم الإلهي لا يكون إلا بشيء عظيم بموازين العلم الإلهي الذي لا يدركه العقل البشري إلا قليلاً ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾.

﴿ والطور ﴾ هو اسم الجبل، الذي هو عقدة التوائية جيولوجية[١] وهو بهذا الخلق ربما كان نسيج وحده حتى يقول بعض العلماء إن الأرض كلها يلتف حولها جبل واحد هو جبل الطور، فعند طرفيه ربطاً ومن ثم فهو عقدة طرفيه[٢].

وجعل في هذا الجبل الوادي ﴿ المقدس طوى ﴾ [طه: ١٢] وطوى من مادة

---

(١) كتاب « سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا » – ٧٣ د. جمال حمدان.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤.

الطّي. قال الحسن البصري: ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين. ثم وصف الخالق العظيم الجبل ككل بأنه ﴿ سينين ﴾ أي الحسن المبارك[1].

ولأن «سينين» تعرب أيضاً مضاف إلى الطور، ولأن وظيفة المضاف إليه بيان المضاف؛ فإن الله العظيم بيَّن أن «البركة والحسن» أساساً هما في جبل الطور، وأن السهل الشمالي كله إنما هو خير مسكوب من الجبل، أو أنه بساط بركة مفروش للجبل العظيم الحسن العظيم البركة.

والجبل بهذه العظمة

وبهذا الموقع الفريد الشامخ الارتفاع بين أفريقيا وآسيا وقبالة البحر المتوسط وأوروبا.

هو «المكان» الوحيد في العالم الذي تجلى فيه «بعض النور» رب العالمين في البقعة المباركة من الشجرة بالشاطئ الأيمن للوادي المقدس طوى.. ولم يتجل سبحانه في مكان غيره إطلاقًا.

ولأن الله سبحانه بما له من صفات العظمة والقدرة والقوة والغلبة والرزاق الوهاب العزيز.. وغير ذلك من صفات الألوهية قد تجلى بها على «الجبل» فقد وصفه بأنه «سينين» أي فيه خيرات وبركات وقوة وعظمة وغلبة وعزة الله مدداً من الله سبحانه للجبل ومن فيه.

والجبل بهذا كله

والجبل بموقعه الفريد العظيم الذي يُشْرِف على «قرني» البحر الأحمر وعلى سيناء كلها وعلى شبه الجزيرة العربية والأردن وسوريا ولبنان وفلسطين إنما ينادي على أهل هذه البلاد أن إزرعوا الجبل وحصّنوه.

---

(١) مختار الصحاح.

ذلك بأن

١ – أن من على الجبل فهو في حصن لا مثيل له على الأرض، وبيده قوة قادرة على من حوله ومن تحته!!

٢ – أن الجبل بوديانه وهضابه وسفوحه هو أعظم أرض يزرع بها التين والزيتون على وجه أخص وباقي الفاكهة على وجه أعم.

٣ – أن هذا الجبل الفريد العظمة الفريد البركة يجب أن يكون إعماره بفئة ممتازة من البشر الشباب وزوجاتهم طبقًا للتوجيه الإلهي:

﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ [البقرة:] تكوين أسر متعلمة عاملة مجاهدة في ميدان عمل حقيقي وعظيم.

الجبل القلعة(١)

إن الله الخالق العظيم جعل جبل الطور مكونا من أكثر من عشرين جبلاً وأكثر من مائة هضبة وواديًا كما سلف القول، غير السفوح وما لها من مصاطب كثيرة. ثم إن هذا الجبل على شكل مثلث قاعدته في الشمال وضلعيه شرقًا وغربًا. ورأسه جنوبًا.. فهو قد صنع خصيصاً ليكون قعلة عالية حصينة دفاعية هجومية.

فإن بناء المطارات على هضابه ممكنة في جميع جوانبه وبناء منصات الصواريخ الطويلة المدى والمتوسطة والقصيرة وصواريخ الدفاع الجوي والمدفعية الثقيلة وغيرها كل أولئك يمكن إقامته على هضابه وعلى سفوحه وفي وديانه... وهي قابعة في حصن حصين.. هي قوة قادرة على ما تحت.. تحت الأقدام.. وتحت السيطرة المصرية الكاملة.

إن تسليح الجبل يجب أن يواكبه زراعة الجبل.. وإن سبقت الزراعة بعض الشيء

(١) إن المؤلف أول من نادى بجعل جبال الطور حصنًا وقلعة دفاعية وهجومية لحماية مصر ووسط المنطقة العربية.

فلا بد من إعداد العدة والعدد للنهوض بالتسليح وإعداد المطارات والمنصات بأسرع ما يمكن.

إن هذه القلعة التي ليس لها مثيل ستكون « الوحش الكاسر والطائر » على كل من تحدثه نفسه... أيًا كان.. أن يحاول العدوان على مصر ومن حولها.

ولأن القوي كالغني، يلتف الجميع حوله

ولأن الجميع مُهدَّد في واقع الأمر...

لهذا؛ يجب على الجميع أن يشاركوا في نفقات إنشاء هذه القلعة الفريدة العظيمة الطويلة الأيدي القادرة بكل قوة.. وأعظم بطش.

وعندئذ

لن تكون سيناء ممرًا لجيوش إحتلال مصر، ولن تستخدم القناة في مرور السفن الحربية لضربها.. ولن يكون الدفاع عنها على إستراتيجية الممرات الثلاث والأسلحة التقليدية بالمفاهيم العسكرية القديمة!!

إنما ستكون هذه القلعة أعظم مكان لأعظم قوة على الأرض.. ولن تستطيع الأساطيل الحربية أن تقف في البحر الأحمر ولا قبالتها في البحر المتوسط.. ولن تجدي معها جميع القواعد العسكرية الموجودة من حواليها!!

إن أعظم خطأ عسكري أن تتخذ « سيناء » بالمفاهيم العسكرية الحالية خطًا للدفاع عن « القناة »؛ حتى إذا أحتلت تكون « القناة » خط الدفاع عن مصر!!

إن الجبل القلعة سيغير هذه المفاهيم جميعًا وسيلغي كل النظريات العسكرية القائمة حاليًا، ويخلق واقعًا جديدًا شرسًا وقويًا يرضخ له كل الأعداء الظاهرين والذين يستخفون.

إن الجبل وسهوله ستكون الحصن الحصين الذي لا يخترق.. واليد الطويلة التي تحمي من على بعد كبير كل المنطقة العربية.

الفصل الثاني

الماء ونظام الري

فلعلنا نذكر ما كان من إنهيار المصارف بشمال محافظة البحيرة منذ أقل من عشر سنوات نتيجة زيادة وإرتفاع ماء الصرف على قدرة المصارف ومحطات الصرف في منطقة المكس بالأسكندرية، مما لم يسبق له مثيل في طغيان الماء على آلاف الأفدنة وعشرات القرى وما ترتب على ذلك من تلفيات جسيمة(١)!!

وجاء بكتاب شخصية مصر – جزء/ عبقرية المكان(٢) – أن نتيجة إرتفاع منسوب الماء في بحيرة السد العالي إلى ١٧٥ متراً فوق مستوى سطح البحر أن إرتفعت المياه – بالضغط الإسموزي – في مسام التربة حتى وصلت في بعض أحياء القاهرة إلى مستوى ٧٥ سنتيمتراً من سطح الأرض الأمر الذي يتلف أساسات المساكن ويهدد بانهيارها.

ولست في حلٍ من ذكر بعض خطير المعلومات عن ذلك مما ورد في التقارير الحكومية عن هذا الذي يتصل بالمساكن في أحياء القاهرة سيَّما الشعبية منها... بسبب هذه المياه.

ولعلنا أيضاً نعي ما يذكر الآن في مجلس الشعب على لسان بعض أعضائه من الشكوى المرة نتيجة « طفح » المجاري وإرتفاع المياه في بعض الأماكن إلى مستوى متر؟!! فوق سطح الأرض؟!!

وكل ما نسمعه علاجاً لهذه المشاكل هو العمل على تقوية الصرف الصحي.. وأن التأخير ليس إلا بسبب ضيق ذات يد ميزانية الدولة؟!

---

(١) منطقة سيدي عبد القادر وحوض أبو خديجة بشمال البحيرة.

(٢) للدكتور جمال حمدان – تقارير من علماء جنسيات مختلفة ومنهم علماء مصريين.

ولعنا نعلم أيضًا من المرجع سالف الذكر ومما كتب مؤيدًا له في بعض الصحف القومية أن عناصر المياه الستة تناقصت مما ترتب عليه فقدان صلاحيتها للشرب وللزرع فصغر عوده وضاع مذاقه واختفت رائحته ونكهته.. ناهيك عما إستجد من أمراض الجهاز الهضمي والفشل الكلوي.. وزيادة الأنيميا.. (ضعف الدم) الذي يعني كمثال ضعف الهيكل الخرساني في الإنسان والحيوان والنبات الثلاثة منفردين ومجتمعين معًا..!!

والماء هو إكسير الحياة بغيره لا تكون.. قال العلي الكبير:

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

وإذا كنا – كما تقدم – قد قلنا إن « طور سيناء » هو حماية مصر وجيرانها.. قوة عسكرية وطعامًا الإثنين معًا.

فإن « الماء » ومعه « نظام الري » يعني أهم شيء في « حياة مصر »... هو « دم » الحياة لمصر.

فلننظر إذًا ما نحن عليه الآن أي ما نحن فيه لأننا في حقيقة الأمر وعاء هذا الماء..

١ – فالماء يسقط سيولاً وأمطاراً في أعالي النيل وعلى هضبة الحبشة فينحدر عبر السودان ويسوقه القوي القدير إلى مصر قال تعالى: ﴿ أو لم يروا أنَّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ [السجدة: ٢٧].

وكلمة « نسوق » دلت على قوة الدفع ووجهة الدفع. وقوة الدفع لأن الماء لا ينحدر من السودان التي هي « تحت » إلى مصر التي هي « فوق » من ٢٢° إلى ٣٢° شمالاً، وإنما يصعد إلى مصر بقوة القدرة الإلهية. وكلمة « نسوق » مجاز حقيقي[1].

---

(١) الأسلوب المجازي بأنواعه الثلاث أسلوب مباشر يعني أسلوب علمي.

٢ – ولأن هذه القدرة التي لله سبحانه وتعالى: ﴿ الذي أَحْسَنَ كلَّ شيء خَلَقَه .. ﴾ [السجدة: ٧] تقتضي عدم وضع عوائق في طريقها الذي هو مجرى نهر النيل.. إلا أننا لعدم إتخاذ المنهج القرآني، فقد « بطل العمل » طبقًا لحكمه تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد: ٣٣]، ومن ثم فالسد العالي – كما هو الآن – خطأ منهجي قاتل.

٣ – سيول الماء الإلهي تهطل على طور سيناء وعلى كثير من جهات الوجه القبلي فيعمل لها « مخرآت » لتفادي قوه سقوطها وهدمها للمنشآت فيضيع الماء الغزير هباء منثوراً، وكأنَّ الله يقذف علينا وابلاً من العذاب وليس ماء طهوراً رزقًا للعباد؟!!

٤ – يسير نظام الري على نظام رفع منسوب الماء في النيل بواسطة السد العالي وخزان أسوان والقناطر العديدة على مجرى النيل ثم في الرياحات لتأخذها الترع بعد ذلك منسابة في الأراضي الزراعية.

٥ – وحتى لا تفسد التربة الزراعية من صعود الماء في مسامها كسالف البيان؛ فقد أنشئت المصارف بعمق أكبر من عمق الترع حتى تسحب الماء من باطن التربة فلا يفسد الزرع. ولأن المصارف بهذه الطريقة تأخذ مساحة كبيرة من الأرض الزراعية، فقد قيل بنظرية المصارف المغطاة (وهو ما يشبه الصرف الصحي في المدن) التي تتكلف مليارات الجنيهات.. وهو الأمر الذي تسير عليه الدولة حاليًا بالتدريج في التنفيذ لمواجهة العبء المالي الهائل لإستكمال إنشاء هذه المصارف المغطاة.

وكما ترى أيها القارئ العزيز

فإننا مستمسكين بنظام الري العتيق الذي كان منذ « محمد علي » في أوائل القرن التاسع عشر وما زلنا نعض عليه بالنواجذ.

ولم نحاول أن نجد حلاً

والحل الذي إقترحه « جميع » العلماء المصريين والعالميين، لا يحل المشكلة هذه بقدر ما « ينقذ » مصر من آثار ترسب الطمي في بحيرة السد العالي لعدم إستكمال المشروع؛ وذلك بعمل قناة تحويل أو فتحات في جسم السد العالي ليمر منها الطمي في وقت الفيضان فلا يترسب في البحيرة فتصير دلتا فتحكم بالإعدام على مصر لضياع النهر؟! وحتى لا يفسد الماء في البحيرة التي تكاد تكون مغلقة وتحت وطأة لهيب الشمس فتفقد عناصر الماء وتحيا فيه الجراثيم والميكروبات مليارات لا حصر لها ولا عد نوعًا وكمًا.. وليس ثمة رؤية أخرى لهؤلاء العلماء.

ولكن المشكلة الأهم أيضًا بجانب تلك المشكلة الأعم، أن « علاج التربة » والنشع ليس له وسيلة ولا حيلة في تلك الخطط.. بل إن الذي يترتب على تلك الخطة أيضا هو العودة إلى السدة الشتوية وفتحها في الصيف لمرور الماء إلى البحر المتوسط.. إلخ فيضيع قدرًا كبيرًا منه إلى الماء المالح.. صحيح أن هذا سيعمل على عدم تآكل شواطئ مصر الشمالية وسيعود معه أنواع كثيرة من الأسماك إلى سابق عهدها.. إلا أن المأساة بالنسبة لنشع التربة وفساد أساسات المساكن وضياع قدر كبير (١ / ٥ حصة مصر) من الماء في البحر.. ستبقى بلا حل؟!

فمهما إجتهد العقل البشري.. فهو في ضلال وبطلان.. ولا بد للإنسان الرشيد من أخذ منهج كل شيء من كتاب الله العزيز الحكيم العليم طبقًا لقوله تعالى: ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ [الكهف: ٢٩].

قال الحكيم العليم مبينًا حقيقيتين:

الأولى: أنه سبحانه الذي يكون السحاب ويصرفه حيث يشاء.

الثانيــة: أنه هـو الذي يُنزل المطـر والبـرد والسيـول على من يشـــاء هو ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى

الودق[1] يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ [الروم: ٤٨].

﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفًا وطمعًا ويُنزِّل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [الروم: ٢٤].

﴿ ألم تر أن الله يُزجي سحابًا[2] ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله، ويُنزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ [النور: ٤٣].

﴿ وهو الذي مَدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً.. ﴾ [الرعد: ٣]

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه.. ﴾ [الزمر: ٢١].

﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩].

﴿ .. وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ [الحجر: ٢٢].

وبين سبحانه في ذات الآيات الحقائق التالية:

١ – أن الرياح التي تثير السحاب مسخرة بأمره سبحانه.

٢ – أن السحاب مُسخَّر بين السماء والأرض بأمره سبحانه.

٣ – أن المطر والسيول والبرد تنزل في المكان الذي « يشاء الله » إنزاله فيه.

---

(١) الودق يعني المطر. وكسفًا يعني قطعًا.

(٢) يزجي أي يسوق. وهذا مجاز حقيقي.

٤ – وأن هذا على « من يشاء من عباده ».

٥ – عدم جواز خزن الماء.

ومن هذا يتبين لنا أن الله سبحانه لا ينزل « المطر والبرد والسيول » جُزافًا ولكن ينزلها بالمشيئة الإلهية وبالتالي يجب على الناس أن تتلقف هذا الرزق النازل من السماء بأمر الله سبحانه فتحرث به الأرض وتبذر به الحبوب فيزرعها الله ويخرج الطعام للناس... قال تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبًّا ﴾.

أما ماء العيون.. فعقلاً لا يكون إلا حيث لا يوجد مطر ولا سيول.. والله أعلم حيث يجعل رزقه وكيف يجعله... لذلك حَرَّم الله العظيم خزن الماء – سيّما – ماء الشرب للأضرار التي تحدث في الماء من خزنه. أما ما يخزنه ربنا في ينابيع الأرض فيظل سليمًا صحيحًا نظيفًا تحت طلب الإنسان له ولو بعد مئات السنين؟!!

فكأن الله العظيم جعل وسائل الري في الآتي:

١ – المطر النازل مباشرة على الأرض.

٢ – السيول النازلة مباشرة على الأرض.

٣ – الأنهار التي تجري من تدفق المياه إليها من على الجبال.

٤ – العيون أي الآبار التي تخرج الماء من ينابيع الأرض التي لا تنفد أبداً طالما أن الأخذ لها بقدر الزرع!!

ومن هنا يثبت طبقًا للتوجيه الإلهي فساد نظام الري في مصر..

فإذا قال أحد أن « الأنهار » أحد وسائل الري، فإن الإجابة هي الأنهار الجارية بغير ما رفع منسوب المياه فلا تسبب تلفًا ولا نشعًا ولا تفسد عناصر الماء فيسبب الأمراض والأحزان.

وإذا قال أحد أن « بحيرة السد » قد أنقذت مصر من سنوات الجفاف الثمانية في العقد الثامن من القرن الماضي، فالإجابة أن « عيون الماء » الطبيعية والصناعية كانت

تكفي لكل ما هو لازم للأرض وللضرع وللبشر.. ولكن ضلال الناس عن منهج الله العظيم.

وطبقًا لهذا المنهج الإلهي السديد العظيم البركة فالواجب عمله هو:

أولاً:

لأن الماء يملأ كل التربة في وادي النيل (الأرض الزراعية والمدن على سواء) فإنه يجب إتخاذ وسيلة الري بالآبار (العيون) في كل وادي النيل من أسوان حتى البحر المتوسط وتنفيذه على مراحل.. مرحلة بعد مرحلة.. بداية من الشمال وإنتهاء بأقصى الجنوب.

وسيترتب على ذلك النتائج التالية:

١ – توفير ٨٥٪ من حصة المياه التي لمصر في ماء النيل.

٢ – تحويل الترع والمصارف إلى أرض زراعية[١].

٣ – إنهاء مشروع الصرف المغطى وتوفير إعتماداته.

٤ – توفير عمليات مياه الشرب في القرى لأن مياه الآبار نقية تمامًا وصالحة تمامًا للشرب.

٥ – القضاء على البلهارسيا قضاء مبرمًا لاختفاء الترع والمصارف والمياه الملوثة.

٦ – القضاء على كثير من الأمراض.. الفشل الكلوي.. الجهاز الهضمي.. إلخ.

٧ – إمكان تحويل المياه (٨٥٪ سالفة البيان) إلى المشروعات الأخرى التي سنبينها فيما بعد.

ثانيًا:

فإن مشروع توشكى القائم حاليًا على الآبار هو وشرق العوينات، فإن هذا هو الحل الأمثل، وليس من داع إلى حفر ترعة ورفع الماء إليها لعدم مصادرة المنهج الإلهي الموجود

---

(١) أخذ الماء من العيون سيترتب عليه هبوط مستوى الماء الجوفي في التربة. فالآبار تقوم بعمل الترع والمصارف في آن معًا.

تحت أرض توشكى حتى الشمال والمتمثل في الماء الهائل الموجود تحت باطن الأرض والذي كشفت عنه الأبحاث الفضائية والواقع العملي.

وكم من مليارات الجنيهات.. تبقي لشعب مصر الذي يحتاج إلى كل قرش؟!

وكفى أرصدة مالية حرامًا تودع بالبنوك اليهودية وغير اليهودية في أوروبا وأمريكا[1].

ثالثًا:

والدليل الآكد على صحة هذا المنهج الإلهي هو قوله تعالى في وصف حال مصر ريًّا وزراعة وإجتماعيًا وإقتصاديًا: ﴿... جنَّات وعيون * وكنوزٍ ومقام كريم﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨].

وليس بعد هذا الوصف عظمة وليس بعد قول العلي الحكيم مجال لأي قول.

رابعًا:

وبيانًا ماديًا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا رغم ما فيها جميعًا من أنهار فإن نظام الري يسير فيها على الآبار فقط ولا تسمح إطلاقا بشق ترع ولا مصارف وإتبعتهم إسرائيل؟!! فهل نفيق من الغيبوبة التي تشمل أفكارنا؟

خامسًا:

ولمنع « القحط » الذي ألم بمصر ثلاث مرات في كل مرة سبع سنوات عجاف، يقول العلي الكبير: ﴿وألَّو إستقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وغدقا أي ماءً طهوراً كثيرا، واستقاموا على الطريقة أي إتبعوا الصراط المستقيم.. أي تنفيذ المنهج القرآني واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. فهل نعود إلى أيام الله العلي الرحمن الرحيم؟

---

(١) كتاب « خريف الغضب » للأستاذ/ محمد حسنين هيكل.

الفصل الثالث

إستكمال مشروع السد العالي

للبيان.. فإن مشروع السد العالي يتكون من جزئين..

الأول: هو عمل « سد » بعرض مجرى نهر النيل وعمل تفريعة جانبية تقوم في نهايتها محطة توليد الكهرباء.. التي بها عدد ١٢ توربين ضخم يشغل نصفها بالتبادل وبسبب حدوث شقوق في الجبل من التفجيرات الخاصة بتجهيزه لإقامة المحطة فقد إستقر العمل على تشغيل عدد ٣ توربينات فقط بالتبادل.

الثاني: عمل « قناة تحويل » لتمرير مياه النيل وقت الفيضان فيستمر الحال في المحافظة على حيوية المياه ونظافتها وصلاحيتها للشرب والزراعة وتمرير الطمي معها فلا يحدث نحر لا للنهر ولا للقناطر الكثيرة المقامة عليه ولا لشواطئ مصر على البحر المتوسط شمالاً.

ولكن؛ وكما هو معروف؛ لإنسحاب البنك الدولي طبقًا للتخطيط الأمريكي الإنجليزي الفرنسي من تمويل المشروع، فقد صار الأمر عسيراً مما جعل الزعيم جمال عبد الناصر رحمه الله يؤمم قناة السويس ويتجه إلى طلب قرض من الاتحاد السوفيتي الذي لم يستطع إلا تمويل الجزء الأول فقط من المشروع والذي تم تنفيذه فعلاً.

أما الجزء الثاني

وهو الذي يحافظ على « صلاحية » قيام الجزء الأول، فإن الحكومة المصرية قررت إرجاء تنفيذه لحين إستطاعة تمويله بعد سداد القرض السوفيتي. ورغم سداد هذا القرض... إلا أن الحكومة نسيت أو غفلت عن تنفيذ الجزء الثاني الذي كان يجب سرعة القيام به للأسباب الآتية:

١ – إنعدام مرور ماء الفيضان بما يحمل من طمي ترتب عليه « ترسيب » الطمي في قاع البحيرة. يقول وزير الري إن الترسيب يتكون في أول حدودنا مع

السودان وليس في البحيرة . وتقول بعض الدراسات العلمية (رسالة دكتوراه في بحيرة السد العالي نشرتها جريدة الأهرام) إن قاع بحيرة السد العالي يرتفع نتيجة ترسيب الطمي في البحيرة بمعدل ١٠ر١ متراً في السنة .

٢ – ترسيب الطمي في البحيرة وعدم مروره إلى نهر النيل ترتب عليه إزدياد معدلات نحر الشواطئ الشمالية المصرية حتى يعتمد لعمل مصدات بالخراسانة المسلحة لمسافة كيلو متر واحد في شمال دمياط إلى إعتماد أكثر من ٣٠ ثلاثين مليون جنيهاً !! هذا على سبيل المثال .

٣ – بعد ثمانين سنة من بداية تشغيل السد العالي – طبقًا للتقديرات العلمية – ستتحول بحيرة السد العالي إلى « دلتا » وفي هذا يقول د. جمال حمدان يرحمه الله في المرجع السابق إن هذا يعني « إنتحار مصر » بسبب عدم وصول نهر النيل حيث يكون قد قطع تماماً من أول حدود مصر الجنوبية حتى السد العالي بواسطة هذه الدلتا[١] .

٤ – فساد مياه البحيرة وعدم صلاحية مياهها للشرب والزرع كسالف البيان .

٥ – فقدان « التربة الزراعية » في وادي النيل لأهم « غذاء » طبيعي لها وهو « طمي النيل » الذي كان متوسط ترسيبه على أرض الوادي ٢ سم سنوياً فيجدد للأرض شبابها وحيويتها وقوتها .

٦ – الاستعانة – بسبب ضياع الطمي – بالأسمدة الكيماوية الأمر الذي أضر بصلاحية الزراعة وثمارها فكانت أحد معاول هدم صحة المواطنين؛ كما ضيَّع عدم مرور الطمي إلى عزوف بعض أنواع السمك من « الهجرة » السنوية إلى شواطئ مصر .

ولما كانت هذه الأسباب وما ترتب عليها من نتائج هي « حقيقة واقعية مادية

(١) « شخصية مصر – الجزء الثاني عبقرية المكان » للدكتور / جمال حمدان .

قائمة» فلا مجال إذا للجدال في شأنها ولا محاولة الالتفاف عليها أو التغاضي عن أخطائها بأي مشروعات أخرى مهما كانت لأن تنفيذ «الجزء الثاني من مشروع السد العالي» يترتب عليه «إنقاذ مصر» من الانتحار.. والضياع.

وإصلاحًا لما فسـد...

وكم كانت الأموال التي «ضاعت» في إنشاء ترعة توشكى.. على بحيرة لم يبق على زوالها إلا سنوات.. إلا خطوة خطأ إداري مهول.. يحسن الرجوع عنه في منتهى السرعة، وعقد إجتماع علمي للعلماء المتخصصين على مستوى عالمي للنظر في درء المفاسد التي وقعت في البحيرة والعمل على إنشاء «وسيلة» لتمرير مياه النيل وقت الفيضان.. سواء كان ذلك بعمل «قناة تحويل» أو «أهوسة» في جسم السد العالي.. مع جرف كل الطمي الذي ترسب في قاع البحيرة ونقله إلى وادي النيل بواسطة مياه الفيضان... أو طبقًا لما يراه أصحاب الرؤية العلمية المتخصصة إبقاء على مصر وحياة مصر شعبًا وأرضًا وزرعًا وضرعًا وشواطئ شمالية وأسماكًا رزقًا من الله العظيم الكريم الرءوف بعباده.

وبذلك نصحح العمل كله فيستقيم مع المنهج الإلهي.

الفصل الرابع

رياحات منخفض القطارة وواحات سيوة وترعة السويس

منخفض القطارة

قبل الحرب العالمية الثانية بسنوات وكان « روميل » القائد الألماني الشهير في رتبة « رائد » قد حضر ومعه بعثه علمية.. بطريقة غير معلنة ودرس ساحل مصر الشمالي كله، وبين ما درس فيه، هذا المنخفض العظيم المساحة العميق الجوف الذي يقع جنوب مدينة « الضبعة » و« العالمين » بحوالي ٧٠ – ٨٠ كيلو متراً.. وكنتيجة لأعمال هذه البعثة، فقد قال الخبراء الألمان فيه أنَّ ملأه بماء البحر بقناة من عند « الضبعة » إلى المنخفض بطول ٧٠ كم سيترتب عليها توليد قوة كهربائية مهولة تكفي شمال وادي النيل كله (الوجه البحري) وكان ذلك المشروع على هذا النحو – بعد هذه الجولة الألمانية – يُدَرَّس في المدارس الألمانية.

ولما بدأت « ثورة يوليو » في فحص المشروعات التي يمكن أن تقوى بها مصر فقد كان هذا المشروع مما بحث، واستمرت دراسته مدة طويلة إمتدت على مدة رئاسة الرئيس أنور السادات يرحمه الله، ثم صرف النظر عن المشروع.

والحمد لله أن صُرف النظر عنه

لأنه لو نفذ بهذه الوسيلة لما كان له من فائدة إلا زيادة « القوة الكهربائية » وتربية الأسماك على الماء في قاع البحيرة.. لأن الماء الذي بها ماء مالح.

وقال كثير من الناس منذ أكثر من عشرين سنة.. في المساجد في خطب الجمعة، بانه يجب ملء هذا المنخفض بماء النيل.. ولكن لأن تقديرات وزارة الري ونظام الري

الذي تتبُّعه لم تسمح بالتفكر في المشروع... وبالتالي نسي الناس.. ثم جاء أحد المهندسين وأثار المشروع مرة ثانية في جريدة الأهرام واقترح عمل رياحين من النيل إلى المنخفض.. أي نفس الكلام الذي سبق أن قيل من قبل في كثير من المساجد.. وأيضًا وبسبب « النظام » الذي تسير عليه وزارة الري الذي سبق بيانه، فإن أحدًا لم يناقش المشروع... ولم يكتب فيه بعد ذلك.

ولكن؛ وطبقًا لنظام الري الذي إقترحناه آنفًا، من ري وادي النيل كله بالعيون المائية المتمثلة في « الآبار » فإن ٨٥٪ من حصة مصر في مياه النيل تكون باقية بلا فائدة.

وهنا

يكون تنفيذ مشروع منخفض القطارة مرهون بتنفيذ مشروع ري أراضي وادي النيل بالآبار. ففي أثناء، تنفيذ مشروع الآبار، يقوم الناس بحفر عدد ٤ رياحات من نهر النيل فرع رشيد إلى منخفض القطارة بحيث يكون كل رياح قائم في مساحة متساوية مع الرياحات الأخرى في المساحة ما بين فرع رشيد ومنخفض القطارة.. فتتحول هذه المساحة الكبيرة إلى جنات كثيرة وحقول للمحاصيل كثيرة وفواكه كثيرة ثم يتحول المنخفض المهول الحجم إلى بحيرة عظمى بالماء العذب فتروى كل ما حولها ويستعمر الناس هذه المساحة الضخمة في الزراعة والصناعة.. إلخ.

ويا حبذا لو أن المشروع يعرض على الناس بأن من يقوم بالعمل في حفر الرياحات فإنه يتملك أرضًا ويوفر له « العيش » أثناء العمل على نفقة الدولة الأمر الذي يجعل « التكلفة » زهيدة ويجعل الملكية للارض هدفًا يسعى إليه الطموح الإنساني ويمتص البطالة التي نراها مكدسة في كثير من شوارع القاهرة وغيرها من المدن.

يقول العلي الكبير

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ [الملك: ١٥].

واحــات ســيوة

في زمن وجود « الاسكندر الأكبر » في مصر، فإن التاريخ يقول[1] أن سيوة كانت واحات وليست واحة واحدة، وأن مساحة واحات سيوة كانت أكبر وأكثر تقدماً من الوجه البحري لوادي النيل . . . ومن هنا فإنه قد بُني لليونانيين معبداً في سيوة وبُني لجنودهم مقابر في الجبال الواقعة في شمالها الغربي . . والآثار الموجودة دليل مادي على ذلك .

والآن، فإن الواحات، صارت واحدة مساحتها ٥٠٠ خمسمائة فدان وعدد سكان الواحة ٥٠٠ أيضاً خمسمائة إنسان (طفل وإمرأة ورجل) وبها ٧ سبعة عيون ماء عذب تعيش عليها الواحة في جميع مجالاتها . . ولأن طاقة هذه العيون الطبيعية كبيرة فقد فاضت مياهها على ما حول الواحة وصارت بحيرة شاسعة المساحة لا تجد من يمد إليها يده . . ولم تعن وزراعة الزراعة أو استصلاح الأراضي بالنظر إليها . . فهل المطلوب إبقاء الأرض بغير تعمير وإبقاء تكدس الناس وتكريس البطالة ثم القول الأجوف الكثير بالحلول المضحكة التي تملأ النفس دهشة وعجباً . . ويأساً .

أليس في هذه الوزارة والمسئولين عنها فكر رشيد

لقد كان « الفلاحون » المصريون يهاجرون إلى العراق لمجرد إعلانها أن من يهاجر إليها ستعطيه ١٥ فداناً بها بيت وبعض الأغنام للزراعة . . . وهاجر إلى العراق آلاف الفلاحين المصريين .

هلا تستطيع وزارة التعمير وإصلاح الأراضي عمل المثل . . متى نفيء إلى الجد في الفكر والجد في العمل ونترك هذه المشروعات التي تحتاج إلى المليارات من الجنيهات دون داعٍ في أرض لم نجد بها فرداً يقيم!!! إلا الزواحف والعقارب وهوام الصحراء الملتهبة جواً وأرضاً .

---

(١) كتاب The OASIS OF SIWA Its Customs. History and Monuement.

ترعة الســـويس

حفر الخديو إسماعيل ترعًا كثيرة على رأسها ترعة الاسماعيلية من القاهرة إلى قناة السويس والتي ترتب عليها قيام « حياة » كثيرة ورغدة على جوانبها وفي نهايتها قامت مدينة الاسماعيلية. ولسنا في حاجة إلى ذكر الخير الكثير الذي نتج من شق هذه الترعة.

ولعل ذلك

أعظم مثل ودليل على ضرورة حفر ترعة من القاهرة إلى السويس.. ويمتد العمران على جانبي هذه الترعة وتملأ الدنيا رحمة وخيرًا وحبورًا ورخاء كثيرا وعمرانا متصلاً؛ وعلى نفس نظام حفر الرياحات بواسطة « الناس » وليس الحكومة وإعطائهم ملكية أرض لهم مع كفالة العيش لهم حتى تمام جري ماء النيل فيها.. أقل التكلفة وأعظم العمل.

فهل تُرى يبقى عاطلاً واحداً بعد هذه المشروعات في مصر

وهل ترى لا تكون مصر سلة طعام لها ولمن حولها كما كانت على عهد يوسف الصديق عليه السلام.

هل ترى تبقى مصر حبيسة « الديون والقروض والبنك الدولي ومن خلفه رابطة المشركين »

الذين يبغون ويعملون بكل الحيل الاقتصادية والسياسية والثقافية والتعليمية لإخراج مصر من هويتها وتكبيل قوتها وتمزيق وحدتها وتضييع إقتصادها وإفقارها وإفقار أهلها ثم إلقائها فريسة للمخطط الصهيوني الأمريكي الغربي ومعها كافة دول المنطقة.. وقد ضاع الاسلام منها.. وضاع المجتمع.. وصارت القيم والخلق أحاديث ممزقة.. يضحك منها كل أفّاق ولئيم..

الفصل الخامس

طعام الإنسان

« التركيبة الغذائية المتوازنة »

في التاريخ المصري القديم، نجد أن « المدمس » كان معروفًا وشائعًا كنوع من أنواع الطعام.

ويحكي لنا رب العالمين سبحانه أن اليهود عندما كانوا في مصر كانوا من أكلة الفول « المدمس »، فيطلب بنو إسرائيل من نبيهم موسى عليه السلام أثناء وجودهم في « سيناء » ﴿ ... فادع لنا ربَّك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها (الفول) وقثائها وفومها وعدسها وبصلها؛ قال أتستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير؛ إهبطوا مصرًا فإن لكم فيها ما سألتم... ﴾ [البقرة: ٦١].

فكانت هذه الأطعمة هي الشائعة وما زالت حتى الآن... وحتى نسمع في أجهزة الاعلام خصوصًا في شهر رمضان أن « طبق » الفول مع الزيت والليمون و« السلطة » الخضراء غذاء كاف. ولأن هذا غير صحيح فإن أكثر من ثلثي الشعب مصاب بالأنيميا أي ضَعْف مكونات الدم.. وهذا يترتب عليه خلل في بناء الجسد ويؤدي إلى ضعفه وضعف مقاومته للأمراض.

ومنذ حوالي سنة أو أكثر قليلاً نشرت بعض الصحف (جريدة الأهرام) أن المسئولين عن لعبة كرة القدم طلبوا من الشباب الذي يجد في نفسه الكفاءة والرغبة أن يتقدم لهم لاختيار العناصر الصالحة لتكوين نواة طيبة للفريق القومي لكرة القدم. فتقدم ٦٠٠ ستمائة شاب تبين من الفحص لهم إصابة خمسمائة وثمان وثمانين منهم بالأنيميا وأن الباقين وعدهم إثني عشر أصحاء وليس لهم موهبة في اللعبة؟!!

ومن ثم يجب أن نعلم من ذلك أن « تدهور » مستوى اللاعبين وقلة جهدهم ليس

بسبب خطأ أو ضعف مستوى المدربين بقدر ما هو راجع أساساً إلى « ضعف » البنية الجسدية للاّعبين.

ويقول لنا رب العالمين عن علاج « الوهن » والضعف في آية واحدة من كتابه العظيم في قوله تعالى إلى مريم وهي في أشد حالات الإعياء بعد وضعها إبنها عيسى عليه السلام: ﴿ وهُزِّي إليك بجزع النخلة تُساقط عليك رطبًا جنيًا؛ فكلي واشربي وقريٍّ عينًا.. ﴾ [مريم: ٣٥، ٣٦].

ويُسرع بعض العلماء الماديين إلى معاملهم فيجدون أن المواد الغذائية الموجودة في « الرطب » زائد المياه هو غذاء كامل وعلى أعلى مستوى!!

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [حسب ابن آدم تمرات يقمن أوده] أي يقمن عوجه كناية عن إعطائه القوة.

وكلمة « التين » الفاكهة المعروفة لم يأت ذكرها في القرآن إلا مرة واحدة في صدر سورة التين.. قسماً وعلى رأس سورة باسمها وحيث ألحق بها الزيتون في قوله تعالى ﴿ والتين والزيتون ﴾ والله العظيم لا يقسم إلا بشيء عظيم.

و« التين » غذاء عجيب العظمة فهو غذاء كامل وعلاج أشد عجبًا للجهاز العصبي في الإنسان.. الجهاز الذي يسيطر على كل شيء في الجسد وفي الذاكرة وسلامة الفكر والتفكر والحركة والهدوء.. إلخ.

و« الزيتون » كما قال عنه خالقنا العظيم: ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾ [المؤمنون: ٢٠] قال العلماء الدهن هو زيت الزيتون. وقال أول طبيب أجرى عملية نقل القلب كريستيان برنارد أن زيت الزيتون هو الشيء الوحيد الذي ينظف خلايا عضلة القلب.. كما قال غيره في فوائده الطبية الكثيرة لجسم الإنسان!!

ولأن « الواو » بين التين والزيتون هي واو قسم على رأي وواو عطف نسق لمطلق

الجمع على رأي آخر، فكلاهما يجعل من الزيتون رفيقا في الدرب والعظمة للتين الاثنين معًا.

وهذا يُهدر تمامًا تلك السموم التي يأكلها الناس باسم « السمن الصناعي » التي هي من الشحوم الحيوانية ومنها دهون الخنزير بالإضافة إلى المواد الكيماوية التي تعطيها الطعم والمذاق والرائحة.. إلخ.. ولا يخفى على أحد مدى الضرر الصحي الذي يصاب به الناس من هذه السموم، والتي من أهم مضارها أمراض الحساسية!!

فالتين والزيتون هما اللذان يجعلان من الجهاز العصبي والقلب الأداة السليمة القوية المسيطرة بتحكم صحيح على كل أجزاء الجسد فضلاً عن نقاء الشرايين والأوردة بفعل زيت الزيتون فليس ثمة شكوى للإنسان بعد ذلك إلا ما يختص بجهازه الهضمي الذي أورد الله العظيم له من الكروم أي الأعناب الجلوكوز للجسد والمنظف والمقوي للجهاز الهضمي، ومن هنا نجد التركيز القرآني على النخيل والأعناب عدة مرات في القرآن العظيم.

ولعل « الرمان » من الفواكه العظيمة التي تعالج الخلل المعدي وأيضًا تقوية عناصر الدم ومن ثم نجد أن القرآن العظيم عندما ذكر الفاكهة كلفظ عام فإنَّه أتى ببعض الفاكهة بلفظ خاص وهي النخيل والأعناب من بعد التين ثم الرمان والسدر (النبق) والرمان والطلح (الموز)؛ والقاعدة أن الخاص مقدم على العام.

ولو اعتنت الجهات المسئولة بملأ الأرض بهذه الفواكه وغيرها لكان الأمر الغذائي للأمة غير ما هو الآن وما فيه من ضلال وعنت ترتب عليه الانهيار الصحي والقروض التي يُشترى بها القمح والذرة مما جعل الدولة في حالة من غيابات التمكن لإصلاح الاقتصاد والعناء الرهيب الذي يعانيه الناس من المرض وقسوة تكلفة العلاج وشراء الأدوية التي قامت لها شركات فاقت مصانع السلاح في مكاسبها الرهيبة على حساب إبتزاز أموال المرضى بالباطل.

والله سبحانه وتعالى يذكر النخيل ويتغزل فيه في قوله تعالى :

﴿ والنخل باسقات لها طلع نضير * رزقًا للعباد . . ﴾ [ق : ١٠ ، ١١] .

ومرايا الحجر في چيولوچيا التاريخ الطبيعي تُبين لنا أن النخيل قد أنبته الله سبحانه منذ أكثر من ثلاثين مليون سنة في عصر الميوسين من حقب الحياة الحديثة ، فهو كان ردءاً لطعام الإنسان في مسيرة تسويته وفك إسار يديه من الأرض ليستقيم بجذعه فيجعله واقفًا على رجلين إثنتين ليأخذ شكله ويقوم بحرث الأرض وجني الثمر ومباشرة شئون حياته .

إن زراعة مليار نخلة (ألف مليون) لهو حصن مصر الغذائي

وإن زراعة جبال الطور بأشجار التين والزيتون والكرم والنخيل والرمان والطلح والسدر وفواكه كثيرة بالملايين لهو العمل الحقيقي الذي يجعل من الشعب المصري والذين من حوله من جيرانه أصحاب قوة ويد عليا وكلمة حرة وإباء وعزة نفس .

فلن تكون مصر في حاجة إلى إستيراد قمح أو أية مواد تموينية . . ذلك بأن الانتاج الوفير لخير صاحب الأمر العالي المتعالي سيفيض على أمة المسلمين .

قال تعالى مبينًا طعام الإنسان :

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنَّا صببنا الماء صبًّا * ثم شققنا الأرض شقًّا * فأنبتنا فيها حبًّا * وعنبًا وقضبًا * وزيتونًا ونخلاً * وحدائق غلبًا * وفاكهة وأبًّا * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [عبس : ٢٤ – ٣٢] .

﴿ أو لم يَروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾

[يس : ٧١ – ٧٣]

﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة . . ﴾ [المائدة : ٩٦] .

وإذا كانت الألفاظ التي وردت في هذه الآيات أغلبها ألفاظ عامة ؛ فإن الله

سبحانه بين بعضاً من الطعام بالاسم أي بلفظ خاص، والخاص مقدم على العام كسالف البيان منذ أول آية في سورة الفاتحة.. ثم جعل التين والزيتون قسماً إلهيًا!!

إن مصر تحتاج إلى ملايين الأيدي العاملة يقودها المهندسون بجميع تخصصاتهم وأول المهندسين والفنيين الزراعيين كي يعملوا على طول شمال مصر من أول رفح حتى السلوم وجنوبًا حتى رأس محمد في سيناء ومنخفض القطارة، وواحات سيوة في الساحل الشمالي، وتنفيذ منهج الري بالعيون في الوادي القديم.

وإذا كان المتخصصون في الري لا يقبلون هذا المنهج الإلهي لإمتلاء مواجيدهم علمًا وعملا بالنظام العتيق الذي يدمر مصر حاليًا.. فإن الرجوع إلى الحق أحق أن يتبع ومنهج الله هو الحق منذ أنزل الله كتابه للناس.. وبين لهم.

إن العمل بشمال مصر وسيناء أقل مشقة وأقل تكلفة وأروح حياة وأرغد عيشًا وأوفى عائداً وأعظم مساحة وأكبر عائداً وأسرع مردوداً وأبقى عوداً وأوفر إنتاجًا.. إن كلمة بطالة ستختفي من الوجود.. ولن تحتاج مصر إلى قروض لشراء قمح أو طعام.. ولن تكون يدها يد سفلى للمشركين أو المؤمنين. وإنما ستكون لها الكلمة.. ولها فيض الخير كما كانت في السابق.

لقد نشط تجار المخدرات إلى زراعة جبل الطور.. فهل لنا من نشاط خير من نشاطهم!! في زراعة جبل الطور وكل سيناء؟

إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الطعام جعله شفاء وعندما خلق القرآن جعله شفاءً ومنهاجًا، فإذا لم نأخذ بالقرآن، فقد أخذنا المرض والسقم والاعياء والوجيعة، فهل لنا من رجعة مع الله العلي الكبير؟!

وهل نعلم أن التركيبة الغذائية الحالية تتسم بضخامة الحجم في كثرة الخبز والأرز والبقول.. مع قلة الفائدة فنتج عنها ما نتج من أمراض تضافرت معها عوامل المنهج الفاشل في الري والصرف والمواد الكيماوية للأسمدة والسموم القاتلة لحشرات الزراعة

فقد اختلت الأمور وصارت شراً مستطيراً.

فهل نعود إلى منهج الله سبحانه؟!

إن الله سبحانه عندما رزقنا الطعام جعله « كفاية » ولم يجعله « غاية » فالإنسان يحيا بالطعام وليس العكس؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى:

﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف]

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ [طه: ٨١].

فبين أن كثرة الطعام مجلبة للغضب الإلهي.. فيصاب بالأمراض فتضيع صحته ويضيع ماله ويضيع معهما أيضًا تواجده في أنوار الإيمان بالله الكريم.. ويثقل على نفسه وأهله!!

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرءوف بنا الكريم فينا

[نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع]

[المعدة بيت الداء والحمية أس الدواء]

إن من واجب وزارة الصحة أن تبين للناس التركيبة الغذائية وتنهاهم عن الفساد الذي ينتشر في وسائل الاعلان والاعلام في صور زاهية.. فإن صحة أفراد الأمة هي العمود الصُلب لها وليس تجارة اللحوم الفاسدة والدهون السامة وليس كثير الخبز والأرز.. وإنما قلة الغذاء في عظمة الغذاء تأتي الصحة والعافية وزيادة الانتاج.

الفصل السادس

المرأة

خلقت المرأة من ضلع أعوج من آدم بجوار قلبه.. فكانت زوجه.. فبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً.

وصارت الحياة على هذا القانون الإلهي.

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ [الذاريات: ٤٩] لتحقيق الحكمُ أي الغاية بأن يكون خلق الإنسان في نظام إجتماعي صحيح وقوي وذلك في قوله تعالى:

﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبًا وصهرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤] ونسبًا وصهرًا إستعارة مكنية لإفادة الزواج بطريق النكاح الشرعي.

هذه مقدمة أساسية لا بد منها

لأن المرأة هي «أخطر» مخلوق في الكون الأرضي أي في الحياة البشرية.

وعندما ننظر في بداية الحياة الدنيا؛ نجد أن الأمر بدأ «بإختيار» آدم ليكون أول من يَحيا فيها.. ﴿إن الله اصطفى آدم..﴾ [آل عمران: ٣٣] فخلقه الخالق العظيم من تراب الأرض.. في الجنة.. وأخبر الملائكة.. وعلمه الأسماء كلها.. وسجد الملائكة لقدرة الله وعظمته في آدم... إلا إبليس أبى.. حكاية حقيقية علميًا[١].

ولأن هذه البداية كانت شاقة.. فالملائكة وإن لم يعترضوا على خلق آدم.. إلا أنهم لم يرحبوا بجعله خليفة في الأرض.. وطَمحُواهُم في هذه الخلافة.. وذكروا أن آدم وذريته كانوا يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء!! أما إبليس فقد إعترض.. وأظهر إعتراضه في عدم السجود لآدم عاصيًا ربه؛ وأسس اعتراضه وعصيانه على أنه

(١) لأن آدم وذريته كانوا هم الذين كسبوا الجولة في الحياة الأولى «حكاية البشر.. علميًا» صلاح الدين أبو العنين.

خير من آدم.. رغم أن آدم قد أخبر الملائكة وفيهم إبليس بالأسماء كلها[1].. التي هي في حينه كانت من غيب السماوات والأرض.. وما زال الكثير منها.. فظهر لهم أن آدم يعلم ما لم يعلموا .. هم ومعهم إبليس أيضاً!!

هذه البداية الأساسية.. لا نجد فيها أي دور للمرأة!! بل ولا وجود!!

هل لأنها شاقة فيها تخاصم الملأ الأعلى... وإثبات « عدم علم » الملائكة... والعثور على « علم » آدم... وعصيان إبليس... وكلها كما نرى وقائع من بعد إرهاصات ومجادلات ضخمة.

أم لأن هذه البداية.. بكل ما فيها لا تخص المرأة في شيء.. فليس لها بالعلم صلة.. وليس لها في تعارض الآراء مكانة.. وليس لها في تعمير الأرض دور مباشر.

أم لأن المرأة قد خلقت « لمهمة محددة ».. وأن هذه المهمة خارج نطاق طموح الملائكة وعلم آدم وخلافته في الأرض.

أم لأن ليس للمرأة نصيب في كل ما سلف بيانه!؟

واقع القصة القرآنية يقول بكل ذلك

فلم يبدأ ذكر للمرأة إلا بلفظ « زوجك » كضمير متصل بآدم زوجها، فآدم الأصل والخليفة في قوله تعالى:

﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة: ٣٥].

فالمرأة محمولة على آدم.. زوجة له.. ليس الاسم صريح في القرآن كله.. ولا مهمة منفردة.. ولم يصدر « الأمر الإلهي » لها.. وإنما صدر لآدم.. فهو المأمور.. وهو المكلف بتنفيذ الأمر.. وزوجه تابعة له.. ليس لها من سبيل إلا الطاعة التامة لآدم.

---

(١) الأسماء هي المصنوعات. قال ابن عباس حتى القصعة والقصيعة وفي رواية حتى الجفن والمحلب.

ولم يرد بأحكام الشريعة الإسلامية أي حكم إلا وكان تطبيقًا لهذا الأصل.. لا يجافيه.. ولا يخالفه.

فالله سبحانه خلق المرأة لتكون سكنًا... وليس لها من مهمة أخرى.. ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم: ٢١][1].

وإذا كان لفظ « أزواجا » يعني الرجل والمرأة.. كل منهما سكنًا للآخر.. فإن ألفاظ الآية ولا أي آية أخرى « خرجت » بالمرأة من بيتها وأفرغته من سكنها لزوجها.. ومن ثم كان الحكم ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ [الأحزاب]

ونجد أن آية البقرة.. التي هي أصل حياة آدم وزوجه أي كل رجل وزوجه، قد حددت أمورًا أربعة لتنظيم الحياة لهما وليس بينهما.. الأول أن يسكناهُمَا الاثنين معًا الجنة. والثاني أن يأكلا من طعام هذه الجنة. والثالث ألا يقربا ما حرم الله عليهما. والرابع الطاعة لله مطلقًا... ثم حذرهما من إبليس ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ [طه: ١١٧].

ولأن الله سبحانه خلق الإنسان حرًا وعاقلاً ومتفكرًا فقد بين له أسباب ومزايا هذا الأمر الأصيل لآدم ولكل بنيه فقال سبحانه:

﴿ إنَّ لكَ ألا تجوعَ فيها ولا تَعرى * وأنَّك لا تظمؤُا فيها ولا تَضحَىٰ ﴾

[طه: ١١٨، ١١٩]

بيان كامل لكل « حاجات » الإنسان في كل مكان وزمان.

بيان يرسم – لكل ذي عقل – كيف يكون سكنه.. ومما يتكون.. فلا يخرج عن منهج الله إلا الأحمق والغافل.

---

(١) المودة يعني الرغبة الجنسية في هذا السياق. والرحمة الشفقة والعطف ورقة الشعور المعاملة الطيبة.

فالأمر الإلهي وإن كان قد شمل أشياء غير السكن.. إلا أن « بيان الأسباب والمزايا والمنافع » من الأمر قد انصبت جميعًا على شيء واحد فقط ألا وهو « مكان السكن وكيفه » وهو « الجنة ».

فإذا زاغ فكر الناس عن ذلك.. فقد ضاع منهم « حقيقة » السكن.. وصاروا إلى سبل أخرى لها شئونها المتناقضة المتباعدة المتعبة العقيمة المتصارعة.. المكشوفة.. المفضوحة.. الفقيرة في ذاتها.. العاجزة بذاتها.. ومن ثم يصبح الناس أنهم في أزمة سكن وأزمة طعام وأزمة جوار وضياع أخلاق وانحلال مجتمع.. وإختلاط وأخلاط وأغلاط.. وشذاب الأمر بالضرورة؛ ظهور الجريمة.

وإذا تدبرت آيات القرآن العظيم في شأن المرأة.. لوجدت أن الله الخالق العظيم قد جعلها من حرماته في الأرض فهي مكنونة مصونة لا تحل لأحد إلا لزوجها.. ولا يطلع عليها إلا زوجها من دون العالمين.. لأنها موطن الغريزة الجنسية.. لأنها كلها من قمة رأسها إلى قدمها.. فأَمَرها وأَمَرَ رَجُلَها وَلِيَّها أن تكون في « خباء ».. لباس لايُبين منها شيئًا.. ولا يديها ولا وجهها.. ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ [الأحزاب : ٥٩]. فالإنسان يعرف من وجهه ومن ثم أمر بالحجاب الكامل ﴿ وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن.. ﴾ [الأحزاب : ٥٣] فمن قال بظهور وجهها ويديها وقدميها فقد أفترى على الله إثمًا مبينا.. ﴿ وقد خاب من إفترى ﴾.. لأن الدليل مادي صارم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لكل دين خُلق وخلق الإسلام الحياء] وهذا تفسير لأيتي غض البصر.. فمهما حزب الأمر فذلك لن يمنع في أحوال قليلة من أن يرى رجلاً إمرأة قد تكون من ذوي قرابته أو جيرته.. في لحظة.. في مناسبة طارئة.. وقد ترى المرأة كذلك الرجل؛ وحتى يسد الله منافذ الشيطان وغوايته، فقد أمر الرجل بغض بصره إنْ رأى إمرأة وأمر المرأة أن تغض بصرها إن رأت رجلاً.. وتأكيداً لهذا المعنى فإن الآية قد بينت بوضوح وصراحة وعلى سبيل الحصر من هم الرجال الذين

تراهم المرأة ولا غض بصر ولا حرج فيهم.. فقال تعالى:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها[1]، وليضربن بخمرهن[2]، على جيوبهن[3]، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعًا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور: ٣١].

والمرأة؛ بهذه المثابات جميعًا.

تُزَكيَّ بآيات الله سبحانه في بيتها؛ بيت أهلها وبيت تعليمها الخاص بها (مدارس البنات كليات البنات وبيت زوجها أيضًا) بما يتفق وخَلْقها وكيانها الجسدي والنفسي وحرمتها ومهمتها السامية في الحياة.

إن أول وأقدس عمل للمرأة ان تكون زوجة وأمًا، فتلك فطرة الله فيها التي تتوافق تمامًا مع القرآن العظيم وكون الله العظيم ولا تبديل لأي شيء إطلاقً.

﴿ فاقم وجهك للدين حنيفا، فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم: ٣٠].

ولأن هذا هو الذي خلق الله سبحانه المرأة عليه ولا تبديل له، فهو حكم سنه الله لا تبديل له ولا تحويل عنه فقد ألزم به نساء النبي وبناته أسوة للمؤمنات حتى يكن على الطهر دائمًا وفي نور رب العالمين طالما هن على قيد الحياة فيكن ساطعات النور في

(١) الهاء الضمير المتصل في كلمة (منها) يرجع على كلمة زينة طبقًا لقواعد رجوع الضمير.

(٢) خُمُر جمع خمار وهو غطاء الرأس ويجب ان يغطي كل الرأس قبلها ودبرها نازلاً تمامًا حتى نهاية الصدر أمامًا وخلفًا.

(٣) جيوبهن كناية عن صدر المرأة بما فيه فيجب ألا يظهر ويختفي تحت طوال الخمار.

الآخرة أروع من حوريات الجنات فقال سبحانه:

﴿ واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من ءايات الله والحكمة، إن الله كان لطيفًا خبيرًا ﴾

[الأحزاب: ٣٤]

فلا جلوس مع الرجال في معاهد التعليم ولا إختلاط في غيرها، حتى يكمن الطهر في المكان ولا تدنسه غرائز هي نار في سن الشباب والمراهقة.. وهي فوارة عاملة بغير ما نصب بعد ذلك.. سنة الله في خلقه.. فلا يسقط خَلْق الله في ممارسات جنسية وإبتزازات عاطفية سرية تحت عناوين ضالة باسم الزواج العرفي.. وليس في الإسلام زواجًا عرفيًا ولا رسميًا ولكن الزواج في الإسلام هو الارتباط الشرعي بين أسرتين نسبًا وصهرًا.. إرتباط قوي كالعقدة التي تربط طرفي حبل... هو حبل الله في أسرة المرأة وحبل الله في أسرة الرجل... فسماه العليم الحكيم: ﴿ عقدة النكاح ﴾ ولم يسمه عقدًا أبدًا لأنه ليس مبادلة أو مراهنة أو إيجار لمتعة أو وصية أو هبة.. ولكنه إرتباط يؤلف بين الناس نسبا وصهراً فيما يصير إليه من نسل هم سنة الله في إحياء خلفاء الأرض.. الذين سجدت لأبيهم الملائكة وكرمهم الله وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً كبيراً... ولو كان « عقداً » لذهب الناس فيه مذاهب كثيرة فاهدروا قدسيته.

فسبحان الله وتعالى علوًا كبيرًا

عن هذا الانحطاط الفكري والبهيمي الذي جعل اللقطاء ظاهرة رسمية في بلاد المشركين وهتك ستر حرمات الله فمشين كاسايت عاريات باسم التقدم والمساواة والحرية!! كذبًا على الله والناس.. والتبجح في المؤتمرات الرسمية العالمية حتى علا صوتهم مطالبين بحرية الاجهاض والزنا والشذوذ(١).

فعن المساواة.. فهي لا تكون إلا بين متساويين، والرجل له خلق وله أجهزة خاصة

(١) مؤتمر السكان العالمي سنة ١٩٩٤ بالقاهرة.

به كذكر، والمرأة لها خلق خاص بها ولها أجهزة تتوافق مع هذا الخلق.. ولأجهزتها دورات ولحملها تفاعلات وإنفعالات ولوضعها ايات وسمات ولنزول اللبن من صدرها أسباب من الرجال وليس من النساء فيهن نصيب.. وإذا عددنا الفوارق ملأنا صفحات وصفحات، فمن أين تأتي المساواة؟!

وعن الحرية.. فالحرية في الإسلام للرجل والمرأة هي الحلال ولا حرية مع الحرام لا للرجل ولا للمرأة.. فإذا تعدى أحدهما دائرة الحلال دخل في دائرة الحرام وصار ظالمًا وقال تعالى: ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة: ١٩٣] وحرية الرجل خلافته في الأرض.. والسعي الحلال.. وحرية المرأة طاعة وليها.. الأب أو الأخ أو الزوج لقوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾ [النساء: ٣٤]، فإذا خرجت المرأة من طاعة زوجها كانت ناشزًا وعليه أن يعظها فإن لم تطعه هجرها هجرًا جميلاً[١] فإن لم تطعه ضربها[٢]. فأين هي المساواة وأين هي الحرية إلا أن تكون المرأة قانتة خاضعة لحكم الله في بيتها مطيعة لزوجها؟

إن الزعم بالمساواة والحرية زعم فاسق والمناداة بذلك يمحقها الله بكلماته.. قال العلي الكبير مقسمًا بذاته الخالق العظيم:

﴿وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتى﴾ [الليل: ٣، ٤]. وشتى يعني متفرق وليس مختلفًا فقط، فإذا قام النساء بأعمال الرجال فلن يكون كعمل الرجال، لأن طبيعة الخلق جاءت متوافقه مع طبيعة العمل فحكم الله في ذلك بيِّن أيضًا وواضح في قوله تعالى:

﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦].

فهل يفيق الناس إلى سنة الله في خلقه وإلى حكم الله في كتابه، وهل يفيق الأزهر

---

(١) أي يعطيها ظهره في ذات الفراش.

(٢) ضربًا مُهينًا غير مبرح لأن القصد منه إهدار نشوزها وإعادتها لطاعة زوجها.

والدعاة عمومًا إلى إعلاء كلمة الله إيجادًا للدين وحفاظًا عليه وهو أول الضرورات والمصالح المعتبرة؟!

سيضربون أمثلة ببعض النساء!: فهل هي أمثلة نادرة أم ظاهرة قائمة؟! والجواب معروف والنادر لا حكم له.

إن العمل الذي خلقت من أجله المرأة عمل مقدس.. أن تكون زوجة سكنًا لزوجها وأمًّا لأولادها.. حاضنة لهم ومزكية ومعلمة... وهي أعمال ضخمة وخطيرة في ذاتها وفي مآلها، عظيمة رفيعة المضمون خطيرة المسئولية، هذه الأعمال لن تترك للزوجة وقتًا للهو واللعب، ولن تترك لفكرها الشطط؛ ولن تترك لقلبها بالتالي حبًّا إلا لبيتها زوجها وأولادها، فتستقيم حياتها وتطمئن في وجدانها، فلا يقرب من فكرها هاجس سوء ولا يتغشَّاها شيطان. فإذا ما كان زوجها على الدرب ذاته يسعى، سكنًا لزوجته راعيًا لأسرته، صلح حال الأسرة في جمأعها، وارتفع شأن أفرادها بالحق بين الناس.

والمرأة هي صاحبة الحب؛ كما أن الحب هو قانون حياتها، وهذه الفطرة فيها تجعل من المرأة «أخطر» مخلوق على وجه الأرض.. قال العلي الكبير:

﴿وقال نسوة في المدينة إمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، قد شغفها حبًّا..﴾ [يوسف: ٣٠][1].

والشغاف هو الغشاء الرقيق الذي يغلف عضلة القلب، فدل ذلك على أن موطن الحب هو القلب، كما أن كلمة شغفها كناية عن إمتلاء قلب إمرأة العزيز بحب يوسف حتى الشغاف.. يعني كما نقول أن هذا الحب ملك عليها قلبها!!

ولأن المرأة بفطرة خلقها لا «تحب» إلا واحدًا فقط.. فإن كانت متزوجة فهي

(١) لم يرد في القرآن كله تعبير بكلمة تفيد الحب والجنس إلا هذه الآية.

تحب زوجها.. فإن أحبت غيره أي دخل آخر في قلبها.. فمعنى ذلك أنها أخرجت زوجها من قلبها.

ومن هنا

فإن الخالق العظيم الذي يعلم من خلق، قد حجبها عن الناس وقال مبينا أسباب ذلك كامناً في سبب واحد عند المرأة وعند الرجل سواء:

﴿ وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن.. ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فالسبب كامن في « القلب » ذلك الكيان الخطير الذي لا يسع إلا واحداً فقط عند المرأة... وليس له من مجال عند الرجل إلا الدنس والسوء.. فحكم على المرأة أن يبقى قلبها ليس فيه إلا زوجها؛ فإذا علمنا أن آية الحجاب هذه قد نزلت في خير نساء العالمين؛ فقد دلت على حكم الله في باقي نساء العالمين... بشهادة ما حدث من إمرأة العزيز مع فتاها الذي كفلته وتعهدته مذ كان في السابعة من عمره.. حتى إذا صار شاباً يافعاً.. وهو ما زال في كنفها دخل قلبها فخرج منه العزيز... وكان ما كان.. ﴿ هئت لك ﴾ [يوسف: ٢٣].

وتحقيقاً لطهر قلب المرأة فإن الله تعالى حكم بان طاعة المرأة الزوجة في إحتباسها لزوجها وعليه تبعاً واجب الانفاق عليها.. فلا ترى غيره فلا تحب غيره.. ولأن المرأة تراب ووعاء الولد... فقد جعلها رب العالمين « وعاء » لرجل واحد حتى لا تختلط الأنساب ويبوء الصهر بالفساد.. ومن ثم فقد وافق حكم خلقها حكم وعائها حكم زواجها حكم حبها.

أما الرجل فإن قانونه هو « الشهوة »، فإذا أحب.. فإنما يحب الشهوة في ذاتها؛ وليس حب من يشتهيه أو يشتهيها.. فقال الخالق العليم عن قوم لوط: ﴿ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء.. ﴾ [الأعراف: ٨١. وقوله تعالى: ﴿ زين للناس حب

الشهوات من النساء والبنين.. ﴾ [آل عمرا ١٤]، ولما أصرَّت إمرأة العزيز على أن يَتَغشَّاهَا يوسف وطلب « نسوة المدينة » منه أيضًا لهن فقد لجأ يوسف عليه السلام إلى مولاه ﴿ وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ [يوسف: ٣٣]، والصب هو الشوق وحرارته واقع على إمرأة العزيز والنسوة الحاضرات معها الجميع معًا؟!!

ومن ثم ولأسباب أخرى أيضًا، فقد جعل الله سبحانه للرجل الحق في أن يجمع بين أربع زوجات وأن تملك يمينه ما يشاء من النساء ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ [المؤمنون: ٦].

فوافق حكم خلقه حكم زوجاته وما ملكت يمينه حكم شهوته فطرة الله فيه وسبحان الله وتعالى عما يشركون.

ولا تثريب على المرأة أن تعمل.

طالما أن عملها لن يترتب عليه عملاً أو سلوكًا خارج دائرة الحلال الشرعي.. فالطبيبة تعمل في مستشفى للنساء والحكيمة والممرضة، والمدرسة والأستاذة تعمل في مدارس ومعاهد وجامعة البنات.. إلخ.

وكذلك دور الحضانة والمدارس الإبتدائية وطب الأطفال.. والمشاغل والأعمال الصناعية التي يمكن أن تكون في البيوت مثل أنوال الكليم والسجاد والملابس الجاهزة.. إلخ.

ويمكن نقل نظم العمل التي تقوم بها « مصانع البيوت » للمصانع الكبيرة كما هو الحال في اليابان والصين.

وأيضًا أعمال تعبئة الحبوب الزراعية وغيرها.. إلخ.

فالأعمال التي يمكن أن تقوم بها المرأة في منزلها أعمال كثيرة ومناسبة لأحوال المرأة ومتوافقة مع شرع الله سبحانه.

وسيقول السفهاء من الناس

إن هذا رجوع بالمرأة إلى عصور الحريم وبالتالي إلى التخلف!!

ويرد « التاريخ » على هؤلاء الفسقة الذين يريدونها عوجًا.. ويبغون في الأرض الفساد.. أن المسلمين عندما كانوا في تلك العصور فتح الله العظيم لهم مشارق الأرض ومغاربها وشمالها حتى عاصمة النمسا في شمال أوروبا وجنوبًا حتى الحبشة!! فلما خرج المسلمون من حكم الله واتخذ حكامهم الشعوبية سلوكًا والعلمانية حكمًا وعلمًا.. فها نحن مقهورين لفئة المغضوب عليهم والضالين.. إلى أن يشاء الله رب العالمين أن يعود للإسلام وجوده ولأحكامه ظهوراً وتطبيقًا ولعلم الله نوراً ولقوة الله عزة ومنعة وقهراً!!

ويقول التاريخ أيضاً

إن« العلم » كان حينذاك في بلاد المسلمين والرقي والتقدم.. وكان الأوروبيون يحيون حياة « الظلام والجهالة ».. والضعف والتخلف الفكري والاجتماعي.. حتى إقتبس الفرنجة من المسلمين فكرهم ونورهم... وهم أنفسهم على ذلك شهود.

وكان الإسلام وسيظل

الأوسع إنتشاراً والأعظم استمراراً ومدًا.. ذلك بأن حكم الله عدل ورحمة ومنهاجه نور وهدى وعزة والعمل به قوة من قوة الله العزيز الحكيم.

فلم تكن في ديار الإسلام

آنذاك فرص حقيرة لنظريات مبنية على « الجنس » أو « مخاطبة الغرائز » مترنحة على صدور النساء محملقه فيما حرَّم الله تحت ستار « التقدم » و« الفن » بعناوين الفنون الشعبية... الفلكورية.. والباليه.. التابلوهات الراقصة... والرسومات وغيرها باسم الابداع الفني... في طيَّات من الابتزاز الجنسي.. كتابة.. ورسمًا وحركة وتصويراً وغناءً..!! وتمثيلاً!!

وإذا إستقرأنا التاريخ

في واقع تعليم النساء ذات ما يتعلمه الرجال.. لم نجد منهن مبدعات أو مكتشفات إلا الندرة.. والنادر لا حكم له.. ولو أن هذه المبدعة كانت في بيتها لكانت أمًا لرجال عظماء ونساء صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

ولأن «خَلْق المرأة» خلق خاص بها مُحدَّد لمهمتها في الحياة.

فإن حكم الله فيها لا بد من نفاذه.. حتى يكون لها أجرها ونورها في الدنيا والآخرة.. ولقد سألت إحدى كبار النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر المرأة وقد حرمت الجهاد في سبيل الله والسير في الجنازة.. إلخ فرد عليها الرسول بأن تبعل المرأة[1] لزوجها يعطيها أجر الجهاد.. فهي سكنه ورحمة الله له.

﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين ﴾

[الأنبياء]

والكيان الأنثوي

فرض على المرأة أو هو جعل المرأة أو هو أعطى المرأة أو هو سهَّل للمرأة أو هو أوحى للمرأة.. أن تتخذ بعض «السلوكيات» التي تؤدي بها إلى دائرة الحرام... إلا من عصم ربي.

فإذا أعلن «الرجل» إيمانه بالشهادتين.. هلل المؤمنون وكبَّروا.. وإذا أعلنت المرأة إيمانها... لم يصدقها أحد حتى «تمتحن» و«تنجح» في الامتحان.

قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم

(١) تبعل الزوجة هو أن تتهيأ لزوجها وأن تكون طيعة موافقة له.

بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار . . ﴾ [الممتحنة : ١٠](١).

ولما فتح الله للمسلمين مكة . . وهرع إليه الناس أفواجًا يبايعن الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت المبايعة والتهليل والتكبير . . . حتى « حبشي » قاتل حمزة عم الرسول وأخيه في الرضاع . . نزل في آية قرآنية وهلل له المؤمنون وكبروا .

فلما جاءت النساء المؤمنات وعلى رأسهن زوج أبي سفيان . . زعيم مكة وإبنة عتبة بن ربيعة من الملأ فيها فقد أوحى الله العليم الخبير لرسوله الرءوف الرحيم قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف، فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ١٢](٢).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ ذلك، وكانت أيديهن في يد عمر بن الخطاب يأخذ منهن البيعة للرسول . . . فلم تنطق منهن ببنة شفه إلا إمرأة أبي سفيان . . قالت : أو تزني الحرة . . ؟! وعند السرقة إعترفت بسرقة زوجها . . ؟! وتبسم الرسول وضحك أبو سفيان .

أما « الكيد » فقد ألصقه الله بالمرأة بإطلاق في قوله تعالى :

﴿ إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ [يوسف : ٢٨] .

وحتى يبين العليم الخبير للناس مدى كيد المرأة قال سبحانه :

﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفًا ﴾ [النساء ٧٦](٣).

---

(١) ليعلم الصادقات ويعلم الكاذبات .

(٢) كشف لخباءة النفس الأنثوية حتى يعلمن طهر الإسلام .

(٣) الكيد هو الكذب العكس بقصد الايذاء والاضرار، والبهتان الكذب الضخم، والافتراء إختلاق الكذب، والافك الكذب والقسم عليه ومكر البشر القول والتدبير السئ ومكر الله هو تدبير الخير .

إن المرأة أخطر من الشيطان.. وأعظم..

وليأخذ العليم الخبير المراة المؤمنة من تلك الوهاد السيئة فقد أثبت أن المرأة الصالحة خاضعة لربها حافظة لزوجها في قوله تعالى:

﴿ ... والصالحات قانتات لله حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾

ليس لها « حياة » إلا بيتها.. زوجها وأولاده.. وعرضه شرفه وماله.. طائعة لله في كل أولئك.. تقيم الصلاة وتصوم ما صام زوجها إلا ما كان فريضة تصومه قطعًا.. وتحج ما استطاعت من مال زوجها أو مالها.. ولا فكر لها ولا شاغل إلا بيتها.. فهي الزوجة المُتَبَعِلَةُ لزوجها الأم الحنون الرءوم لأولادها المطيعة دائمًا لربها.

والقرآن العظيم هو وعاء « الحق » فهذا هو « قدر » المرأة

فبيانًا للحق في خليفة الأرض وزوجه قال العلي الكبير:

﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء: ١١]، وهذه هي القاعدة الأصيلة الأولى في تقسيم المواريث ومن بعدها قاعدة أصحاب الفروض ثم الكلالة تطبيقًا للقاعدتين وقال تعالى في بيان قدر « الشهادة »:

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم؛ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى... ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فلا يصلح للشهادة أربع من النساء!! بدلاً من الرجلين.

وتقعيدًا لقدر كل من الرجل بإطلاق والمرأة بإطلاق، فقد بينه سبحانه وتعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.. ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فالأنثى مهما تكن فهي بعد الرجل ولو كان عبدًا!!؟

فإذا أقيمت الصلاة ولم يوجد إلا رجل عبد فهو يؤم جميع المصليات.

وبيانًا «لمكانة» المرأة من الرجل.. قال العليم الحكيم:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم... ﴾ [النساء: ٣٤].

فالله العظيم فضل الرجل على المرأة بكمال عقله ورجاحة فكره وقوة عضله ومُكْنَة عمله وطول دأبه وصلابة عزمه ونفاذ بصيرته وفراسة سريرته وعظم بأسه وأنه رجل!! وما لا يعلمه من أسباب ومزايا أخرى هي من أسرار الله العظيم في خلقه العظيم، فلم يبعث إمرأة رسولاً وإنما بعثه رجلاً ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ﴾ [النحل: ٤٣]. ولا يرضى عن قوم جعلوا عليهم إمرأة!! كما بينت السنة المطهرة.

وفي مدينة الزقازيق إستطاع رجل جاهل أن يسحب « أستاذة جامعية » لا تعرفه من موقف الأتوبيس إلى خارج مباني المدينة حيث إغتصبها ثم ذبحها بمطواة.. سحبها كما تسحب النعاج.. وذبحها كما تذبح النعاج!! يقول العلي الكبير: ﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب ﴾ [ص: ٢٣]، فقال سبحانه « نعجة » كناية عن المرأة.. عندما يُمسك بها.. لا حيلة لها ولا قوة.. فحجبها وأمرها ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾.

وقال العلي الكبير:

﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فلم يقل – كما قال بعض المفسرين والشراح خطأ – لهن مثل ما للرجال، وإنما ولهن مثل الذي عليهن أي على النساء.. فأسلوب التشبيه شطرين الأول الذي « لهن » والثاني الذي « عليهن » والذي عليهن كبَّاره « الاحتباس للزوج » ومن ثم فلهن « النفقة بجميع عناصرها ».. وللرجال عليهن درجة أجمع المفسرون هي « قوامة » الرجل على المرأة.. فلها كل ما تحب وتتصرف كما تريد تحت قوامة زوجها.. رعايته وحدبه عليها وحرصه عليها وعلى ما قد يكون لها من مال.. فهو الساعي في دروب الحياة والعليم

بها . . وهي القارة في بيته الحفيظة له . . سكنه وأم أولاده ورثتها وورثته .

وحتى لا تدعي أنثى ناشزة شيئًا إدًّا على خالقها بيَّن العلي الخبير مكان الزوجة من زوجها فقال سبحنه وتعالى :

﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم : ١٠] .

وكلمة « تحت » ظرف مكان، وهي تعني صحيح « مكانة » المرأة فهي تحته مكانًا ومكانة، فهي تحته وتحت سلطانه . . فإن خانته كان مكانها نار جهنم أبداً .

أما المرأة الصالحة فلا تريد إلا « بيتًا » في الجنة، قال العليم اللطيف :

﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ [التحريم : ١١] .

فالمرأة الصالحة مُنية قلبها بيتًا في الجنة تكون فيه آمنة مطمئنة وتأكل منه رغداً حيث تشاء .

وأخيرًا وضع الخالق العظيم « هيئة » الأسرة فقال سبحانه :

﴿ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر، وألفيا سَيِّدَهَا لدى الباب، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ [يوسف : ٢٥] .

وباختصار شديد فقد وصف الله العظيم الزوج بأنه « سيدها » أي سيد زوجته ووصف الزوجة بأنها أهله . ولم يصفها بأي صفة أخرى في القرآن كله !!

والسيد هو الآمر الناهي الواعظ المهاجر الضارب المؤدب لأهله أي لزوجته .

﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغَرُور ﴾ [لقمان : ٣٣][1] .

---

(١) الغُرور بضم الغين يعني الخداع والغَرور بفتح الغين يعني الشيطان .

الفصل السابع

التعمير وليس الترمير

تسير خطط الاسكان الحكومية، بل ومشروعات الاسكان الخاصة على بناء وحدات سكنية.. طوابق بعضها فوق البعض.. وتمليك هذه الشقق لمن يدفع الثمن آلافًا كثيرة وقد تكون آلافًا مؤلفة.

ومؤدى هذه « الطريقة » هو إيجاد « مأوى » سكني لمن يطلبه ويدفع الثمن.

ولما كان ذلك

فقد لزم أن يوجد مع هذه الخطط السكنية والمشروعات أو يكون جزءاً منها أسواق لكافة طعام الإنسان الخضر والفاكهة والمصنع وأفران أو محلات توزيع الخبز حتى يكون النغم متناسق والمجموعة متكاملة.. فضلاً عن توفير الأجهزة الأمنية والخدمية طبية وتعليمية... كل ذلك لا بد له بالقطع من مرافق مائية وصرف صحي وكهرباء.. إلخ.

وهذا « النمط » من العمل أساسه أن « سكانه » هم إما من موظفي الدولة أو الشركات أو... هؤلاء الذين يعملون على مكاتب في غداة اليوم فإذا آبوا إلى مساكنهم تلقوا منها الراحة المطلوبة للقيام بالعمل في اليوم التالي..

ويعاب على هذا العمل أنه:

أولاً:

أنَّه عمل إستهلاكي وإن كان على مدى طويل بعض الشيء، فالمساكن الخرسانية عُمرها الافتراضي علميًا هو ٥٠ سنة! فإذا إفترضنا أنها لسبب أو لآخر إمتدت لمائتي عام، فإنها بعد ذلك إلى زوال.. بمعنى أن « المليارات » التي دفعت في هذه المساكن قد إستهلكت.. وصارت فناءً!

ثانيًا :

أن هذه المساكن وإن أوجدت « مأوى » إلا أنها لم توجد السكن بمعناه الشرعي والإلهي الذي « أمر » الله العظيم به . فليس هو في ذاته سكنًا كما أنه ليس بذاته سببًا لهذا السكن .

ثالثًا :

أنه قد غض البصر والبصيرة عن أغلبية الشعب . . فالمعلوم أن ٧٠٪ من الشعب فقراء بمعنى أنهم لا يستطيعون تلبية حاجاتهم الضرورية بما قد يتوافر لديهم من مال . . . وأما الفقراء بالمعنى الذي لا يستطيع أن يضمن قوت يومه فهم بالملايين ! !

رابعًا :

أن العمل على تلبية حاجات ذوي القدرة . . . والغفلة عن الأغلبية هو إهدار للولاية من أساسها التي يجب أن تقوم على « العدل » و« عدم الظلم » كما أنه إهدار لكرامة الإنسان وإذلاله وقهره وإستعباده بتركه يبحث عن مأوى فلا يجد وإن كان الحيوان يجد ؟ !

خامسًا :

إن « صرف » أموال الأمة لفئة دون فئة هو من ضلال البشر وظلم البشر . . . مجلبة لغضب الله العظيم على كل من يفعل هذا تاركًا منهاج الله العظيم موليا له دبره أو هاجراً له إستكباراً في الأرض بغير الحق .

سادسًا :

وأقصى « ظلمًا » من هذا كله . . أنه ليس ثمة « خطة » متوافقة مع حال الكادحين في الأرض تأخذ بأيديهم ليقوموا بها وتقوم بهم الاثنين معًا إلا سرابًا في أقصى الجنوب مع عقارب وثعابين الصحراء ورمال ملتهبة صيفًا كهجير النار ؟ ! وإذا ذهبت إلى هذا السراب في « طائرة خاصة » في جوف فصل الشتاء لم يتمكن

أحد من المكوث حتى تحين بوادر الصيف أو حتى الربيع!! ثم إنفلت الأمر وتبين أنه « أكذوبة فساد » أزاح رئيس الدولة أصحابها... ولكن أين الأموال وأين التعب والارهاق في إرهاصة كاذبة حمقاء؟!

وإذا ذكَرْنا الله ذكرًنا الله العظيم في منهاجه.. تخطيط الاقليم في « سبأ » كيف يكون بين قريتين عظيمتين في مجموعات من المساكن إذا نظرت وأنت في وسط الطريق بين إثنين رأيت الأولى والتالية فكان معك الأمان كما قرب بك الزمان في رغدة سافرة ووجوه مستبشرة بنعم الله الكريم في عطائه الكريم وزرعه اليانع مختلف ألوانه يسر الناظرين ويطعم الناس أجمعين.. يقول سبحانه تبارك وتعالى:

﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدَّرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأيامًا ءامنين ﴾ [سبأ: ١٨].

آية واحدة بالإعجاز الإلهي العلمي وصياغة المعنى في لفظ واضح قليل الكم عظيم الكيف يعطيك كل الرحمة الإلهية فهو سبحانه الرحمن الرحيم الهادي لمن خلق والذي بارك فيما له خلق.

فبدلاً من شقة في طابق، أن يُعطى كل إنسان وزوجه معه قطعة أرض ألف متراً مربعًا أو ألفين ويعطى بعض مواد البناء ويعطى بعض « شتلات » الفاكهة وبعض التقاوي للزرع خضر وفاكهة.. ويمر عليه مهندسون مباني ومهندسون وفنيون زراعيون وإرشاديون... فيقيم كل إنسان بناء سكنه وإحاطته بالشجر المثمر الكثير حتى يكون شجراً ألفافًا.. فإذا أعطى أغدق في العطاء وإذا أخذت منه أخذت رغداً حيث شئت حيث طاب.

هنا نتذكر الأمر الأول والوحيد الذي أمر الله العظيم به آدم أبو البشر في هذه الحياة الدنيا قال تعالى:

﴿ يا آدم إسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾

[البقرة]

وبين له سبحانه أسباب وفوائد ذلك قناعة لآدم المخلوق عاملاً متفكرًا طالبا للحقيقة يقينا بمولاه جل علاه، فيقول تعالى:

﴿إن لك الا تجوع فيها ولا تعرى * وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]. فإذا تأملت هذه الحيثيات لوجدت أنها كلها جميعًا منصبة على موطن السكن ألا وهو «الجنة» ولا شيء غيره.

وكان العزيز العليم قادراً على أن يجعل لآدم «فيلا فاخرة وحولها أحواض السباحة والزهور وملاعب التنس و... إلخ».

ولكن الله العظيم ينادي على خلقه المؤمنين العاملين وليس اللاعبين.. الذين يعمرون الأرض إيجاداً للخلافة والداعين إليها حفاظًا على الخلافة.. ويصم المترفين بأنهم من أصحاب الشمال.. فالله العظيم يقول للناس جميعًا: ﴿وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

فلو نفذنا «منهج الله في قرآنه» لوجد خريجوا الجامعات والمعاهد والذين لم ينالوا حظا من التعليم الجميع معًا وأشتاتًا لوجدوا في جبال سيناء وسهولها وسهول سيوة وعيونها ورياحات منخفض القطارة وما حولها وترعة السويس وجوانبها لوجدوا فيها السكن والعمل والطعام ووفرة الانتاج التي تحفظ لهم كيانهم وكيان وطنهم وتعلي كرامتهم.. فلا قروض ولا ديون ولا يد سفلى.. ولا بطالة ولا فساد في أنفسهم ولا في وطنهم ولا نساء عاطلات من الزواج ولا رجال مكبوتين لا يستطيعون مع منهج الله سبيلاً.. ولا شركات تتاجر في طعام الناس بكل وسائل الابتزاز والترخص في كل ما يقدم للناس مما تعافه كلاب الأرض.. ولاختفت تمامًا أزمات السكن والطعام والبطالة وأزمات الزواج ولاختفت كثيراً من جرائم التكدس السكاني والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي... والبيئي... والفساد الادراي الحكومي.

إن منهج الله... ينفذه خلق الله.. الناس والحيوان ما استطاعوا إليه سبيلا.. وبالمعدات بقدر المستطاع دون إرهاق للدولة... وبإعطاء الأرض وكل ما يمكن به

البناء وما يمكن به زراعة الأرض.. بدون مقابل إلا بعد أن تنتج الجنة انتاجًا وفيرًا مستقرًا.. وهنا تكون الأقساط المالية زهيدة.. وعلى آجال طويلة.. ليس قرضًا بنكيًا.. ولكه قرض حسن من هؤلاء الذين إهتبلوا أموال الشعب من البنوك... ومن عباد الله الصالحين الذي يريدون أن يقرضوا الله قرضًا حسنا وما أكثر هؤلاء مع صالح العمل.

إن ملكية الناس لسكنهم بكل مشتملاته هو « الطموح الأكبر » لدى كل إنسان، فإذا كان هذا السكن جنَّة منتجة بما يزيد عن حاجة صاحبه. كانت كنزًا له ومن هنا فإن الله الخالق العظيم يصف مصر كما بينا قبلاً أنها جنات وعيون وكنوز ومقام كريم.. وهل هناك أكرم للإنسان من أن يسكن جنته لا يشاركه فيها أحدٌ ويستر نفسه ونساءه فلا يجرحه أشرار الأرض.. ولا يمد يده إلى أحد ولكنه يمد يده إلى كل من يريد قادر على العمل.. أو ابن سبيل على الطريق قد عطل.

لو تم ذلك

لرأينا « مصر » قد زرعت وصارت صحاريها خضراء الطلعة خضراء اللون بهجة.. وإذا كانت لرياح الخماسين مفاسد كثيرة، فبدلا من هذه المساكن التي كالقبور حول القاهرة، لزرعت حولها أحزمة خضراء من كل أنواع الشجر والثمر كما فعل الله لسبأ في قوله تعالى:

﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ: ١٥].

فصارت بلدة طيبة الريح والرياح بوفرة الشجر والثمر.. تعمير أرض الله بزرع الله رزقًا للعباد... فهل من مجيب لمنهج الله العظيم؟

فما أبسط المنهج.. وما أعظم المنهج

ولكن ثمة عيب واحد ضخم وهائل.. ألا وهو فساد النية وسوء الضمير.. نعوذ بالله منهما إنه سميع مجيب قريب.

الفصل الثامن

الحرية وعدم الظلم

بعد أن ترجم الأوروبيون القرآن العظيم إلى اللغة اللاتينية سنة ١٥٤٢ شمسية مصرية بعد ميلاد المسيح ثم إلى بعض اللغات الأوروبية سنة ١٧٣٨؛ فإن المفكرين والفلاسفة منهم قالوا ونادوا بالإخاء والمساواة والحرية نقلاً عن القرآن العظيم.. وكانت هذه الكلمات الضخمة المعنى هي شعار الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٨.. بل إن فلاسفة الألمان مَجَّدوا الحرية وقالوا إنها «الارادة» وأنها إسمان لمضمون واحد.. وأنها الجوهر والسر الأعظم لهذا الوجود.. حتى قالوا: الوجود نحن ونحن الوجود؛ بمعنى أنه لا وجود إلا للأحرار(١).

ذلك بأن

القرآن العظيم وإن كان رسالة للناس كافة لا يغادر منهم أحدًا في كل الأرض ومعهم كل ما خلق من شيء بمثابة أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث للعالمين رحمة ونذيراً... فإنه أيضاً خطاب لكل إنسان على حدة إيمانًا بالغيب يقينًا وحكمًا وعلمًا وهداية ونوراً وبشرى للمسلمين.

وكان هذا الخطاب «ثورة» فكرية أداتها العقل والفؤاد من بعد السمع والبصر.. لقد قال للناس أن الله هو الذي خلق هذه الأرض وهذه السماء سبعا طباقًا.. وأنه سبحانه الذي خلقهم بمطلق القدرة من تراب ثم نسلاً من نسل ثم إنه سبحانه في هذه الحياة الدنيا خلقهم من «علق».. وأنه سيبعثهم كما خلقهم أول مرة من تراب بكن فيكون في لمح من البصر أو هو أقرب... وأنه سبحانه في تدليله على عظيم قدرته ذكَّرنا بالسر العظيم في خلق «الإبل» و«بناء» السماء ثم «رفعها» بغير عمد..

(١) كتاب «الله والرسول» صلاح الدين أبو العنين من ٣٠٠ – ٣٠٩ – عن الفيلسوف رينان للأستاذ علي أدهم، والفيلسوفان نيتشة وشوبنهور للدكتور عبد الرحمن بدوي.

و« نصب الجبال » و« الأرض كيف سطحت » . . و« تصريف الرياح » . . و« قوة الرياح » و« السحاب المسخر » و« المطر » و« البرد » الذي ينزله سبحانه على من يشاء ويمنعه عمن يشاء!!

وغير ذلك من آيات الله الكثير

ودلل سبحانه بذلك على أنه « الخالق » البارئ » « المصور » وأنه « الواحد » وأنه « الرحمن الرحيم » و« أنه رب العالمين » ورب الشيء مالكه . . وجعل الأرض ثابتة جامدة في مركز السماوات وجعل السماء بناءً بلا حركة كذلك(١).

وأخبر الإنسان بأن يختار . . هل يحمل « الأمانة »؟ فامتنع الخلق جميعًا عن حملها وأشفقن منها وحملها الإنسان . . . حمل الإنسان أمانة حريته في الاختيار بين الإيمان بالله والكفر وبين العمل بكتاب الله والعصيان وبين الهداية والضلال وبين الحق والباطل وبين اليقين به سبحانه والظن والاعتقاد . . . إلخ .

وكان ذلك

من بعد أن مضى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكوراً ثم تسويته على أطوار كثيرة ترسبت مواجيدها في أعماقه، وعلمه ربه البيان وأعطاه العقل والفؤاد و رفع له قامته . فبعد أن كان مكبًا على وجهه في رغام الأرض، أقام له جذعه ورفع له رأسه . فرأى ببصره افاق الأرض وعنان السماء . . وقام يرى الشمس ويرى القمر في نهار بعد ليل . . وشجر فيه يسيمون . . وإبل سخرها لهم رب العالمين . . . فقام بالجهاد الأكبر ضد حلائف قهر الحجر مع جبال الجليد وفيضان الأنهار . . ثم مع إنعدام الحرارة تمامًا والحياة في زمهرير البرد القارص حتى شاء رب العالمين أن يفنى تلك النشأة الأولى بعد أن

(١) كتاب « الله والكون » وكتاب « رحلة في أعماق الكون » وكتاب « حكاية البشر علميا » وكتاب « القمر في الطبيعة » سنوات ٨٣، ٨٦، ٩٥، ٩٧ للمؤلف / صلاح الدين أبو العنين . . وعنها نقل الآخرون ثم زادوا شططًا بغير علم!!

أقسم الإنسان (آدم وذريته) لله سبحانه بأنه ربهم وأقسم النبيون بأن ينصروا محمداً صلى الله عليه وسلم في رسالاتهم حين يبعثون[1]... وبعد سنين مئات الآلاف.

فإن الله اصطفى آدم بطل البشرية في الحياة الأولى.

وبعثه سبحانه في أعظم خلق رجلاً طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق[2]. ويحمل الأمانة وعلمه الأسماء وأسجد له الملائكة وجعله « خليفة » في الأرض، وخلق له زوجه وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً... ونحن جميعًا من ذريته.. خلفاء في الأرض.. خلفاء في « حمل » الأمانة التي حملها آدم عليه السلام.. أمانة الصدق في الاختيار.. أمانة الصدق في التفكر.. أمانة القول السديد بحق الله سبحانه.. أمانة السمع والبصر دون زيغ.. أمانة الشهادة بالحق.. أمانة الطاعة لله وللرسول ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. أمانة إتقان العمل.. وأمانة العمل بمنهج الله وحده حكمًا وسعيًا في الأرض.

ولأن الإنسان قاصر بحكم خلقه

فقد أنزل الله الهداية إليه على أيدي النبيين ثم جمعها في رسالة خاتم النبيين وإمام المرسلين صلى الله عليه وسلم تبيانا لكل شيء.. وأول ما بينه الحلال والحرام؛ حتى قال العلماء إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات.. وأن ذلك معلوم بالضرورة.. أي أن كل إنسان بغير ما « علم » خاص فإنه يعلم الحلال من الحرام.. وعليه أن يسأل أولوا العلم فيما يخفى عليه.

وجعل الله سبحانه دائرة « الحرية » هي الحلال.

وجعل إيجاد الحرية والحفاظ عليها بالعمل بحكمه سبحانه في خلقه جميعًا.. ﴿إن الحكم إلا لله﴾.

(١) كتاب « حكاية البشر علميًا » صلاح الدين أبو العنين.

(٢) حديث شريف.

فمن كان في حكم الله فهو حر في البشر وعَبْد لله.

ومن كان في حكم البشر فهو عبد في البشر وكافر بالله.

ولا مجال إطلاقًا للف والدوران والتأول على الله في هذا إطلاقًا.

فالحرية لا تكون إلا في دائرة الحلال طبقًا لحكم الله سبحانه في بيانه ما هو الحلال. فإذا تخطى الحلال إلى خارجه فقد خرج إلى الحرام وصار ظالمًا لنفسه ولغيره وكان حكم الله فيه هو:

﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة: ١٩٣].

أي لا بد من أخذه بحكم الله في كتابه العزيز.

ولن يفلت إنسان من حكم الله أبدًا لأن الله سبحانه أخبرنا بذلك في قوله تعالى:

﴿ إنَّ ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر: ١٤]. ﴿ والله غالب على أمره ﴾.

فإن أفلت من الناس فإن أخذ الله شديد.

وبناء على هذه القواعد الأساسية، فقد خلق الله الإنسان خلقًا متكاملاً في « أحسن تقويم » وهداه وبعث إليه بالرسل والهداية إنذاراً واعذاراً حتى لا يكون له حجة من بعد الرسل.

وبالتالي كانت المسئولية شخصية، لأن الإنسان على نفسه بصيرة، إذا أراد أن يتقي بأمرها وإن أراد أن يفجر أمرها.. فهو صاحب السلطة عليها فقال سبحانه:

﴿ وأمَّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى ﴾

[النازعات: ٤٠، ٤١]

أما الناس، فحكم الله فيهم أن يكونوا هم أصحاب السلطة كلٌ على نفسه. وليس لأحد سلطة على أحدٍ أبداً[1]، حتى الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من سلطان

---

(١) إلا إذا كان قاصراً أو غير مكلف أو عليه قيِّم كالزوجة مع زوجها. وفي هذا الخصوص فإن الزوجة مسئولة أيضاً عن نفسها.

على أحد ذلك بأن مسئولية كل إنسان مسئولية شخصية وبالتالي استلزم ذلك أن يكون هو سلطان نفسه... والرسول مُذكِّر ومبلغ ونذير وبشير وليس وكيلاً ولا قوامًا على أحد ولا جباراً فيهم.

فإذا دخل الإنسان في الإسلام إلتزم بأحكام الإسلام طوعًا وكرهًا.. فمن لا يزعه القرآن يزعه السلطان.. لأن الدين حكم الله. ومن هنا بيَّن العلي العظيم ميدان الحرية أنه الحلال وحده.

ومن ثم فإن خَلْط الحلال بالحرام في كل وسائل الاعلام والاعلان والنشر وغيرها هو من ضلالات العلمانية والإنسلاخ من أحكام الله إلى غواية الشيطان.. واختلط الحابل بالنابل وذهبت الحرية مذاهب شتى لا سبيل لها مع الله وإنما السبيل هو الغواية والعري باسم حرية الإنسان في نفسه، والشذوذ والزنا باسم ملكية الإنسان لجسده وحريته فيه، وإلى كافة الضلالات باسم حركة الفكر والتعبير.. والفن والابداع.

وجاءت النتيجة الحتمية لكل هذا استحلال كل شيء.. السرقة والزنا والقتل.. فوقوع الجريمة وزيادة وقوعها.. وكلما أخذ الناس بهذه المفاهيم ودارت بهم الأيام وهم من فسق إلى فسق ومن ضلال إلى إباطيل وكافة الغوايات التي أخبرنا العلي الكبير عنها في قوله تعالى:

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذَّبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

والتكذيب بالآيات ليس المراد به التكذيب بالقول، وإنما هو العمل على خلاف الآيات والخروج من منهجها لقوله صلى الله عليه وسلم [إنما الأعمال بالنيات ولكل إمرئ ما نوى] و[الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل]. ومن هنا كان الحساب في

الآخرة على « العمل » وليس على القول.. قال تعالى:

﴿ فاليوم لا تظلم نفس شيئًا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ [يس: ٥٤].

ورأفة من الله الرحمن الرحيم يحذر الناس من قبل يوم الحساب فيقول الله تعالى لهم:

﴿ ... إعلموا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ [فصلت: ٤٠].

ثم يجأر الناس عن ضياع الأخلاق والقيم الفاضلة... ونسوا أن السبب هو ضياع الحرية الحقيقية في ميدانها الحقيقي.. و الإنسياق وراء التيار الملحد والمشرك شرقًا وغربًا... ظنًا خبيثًا وجريمة مدبرة يؤسسونها بإدعاء كاذب وضال.. إنَّ هذا هو التقدم... الانحلال والزنا والشذوذ.. والعري والضياع.. وشراء التكنولوجيا والبرمجيات والانترنت!!

فإذا نظرنا حولنا، وجدنا إيران تقوم على كتاب الله العظيم، ولديها القنبلة الذرية والصواريخ البعيدة المدى المتطورة.. ورأينا أمريكا تخطب ودها وتفك إسار أرصدتها من بعد حبسها!! فهل تعيش إيران سجينة إرادة فردية متسلطة..وحرية عبثية وسرقات وزنا وفجور ما بعده فجور ورشاوى أنتجت البنك الدولي!!؟ أم تعيش حرة في منهج العلي الكبير الذي خلقنا وخلقها؟!

ولم يرض الله سبحانه إعمالاً لعظيم حكمته في خلقه أن يكون الرسول وكيلاً عن أحد أو صاحب سلطان على أحد أو مستبداً بأحد، مع أن الرسول هو صفوة خلقه وسيد الناس المعصوم بربه من الناس أجمعين.. لم يرض الله لرسوله ضربًا للناس به مثلاً في أنه لا يجوز لأي أحد من الناس أن يَدَّعي لنفسه ولأي سبب من الأسباب أنه وصي على قومه أو هو العليم بما ينفعهم ويضرهم وأنه هو وحده الحريص عليهم.. وأنه هو يطعمهم ويسقيهم ويرزقهم ويعافيهم!!!؟

ومع ذلك، ذهب بعض الحكام إلى هذه المعاني فانتقم الله منهم وممن إتبعوهم..

لأنه إستعبدهم فألّهوه.. واتخذوه من دون الله وليا ونصيراً.. تاركين منهج الله في خلق الله ﴿ يا أيها النبي إتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان عليماً حكيماً * وإتبع ما يوحى إليك من ربّك، إن الله كان بما تعملون خبيراً * وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ [الأحزاب: ١ – ٣].

وزادت السلطة الحاكمة.. ثم إمتدت عن إختصاصها إلى منابع العمل ورزق الناس، فصارت « نفوذاً » قاهراً لهم في حرياتهم ومعايشهم.. فاضطروا إلى الكذب نفاقاً واضطروا إلى المخادنة إتقاءً واضطروا إلى المخادعة تقرباً واضطروا إلى الغواية له زلفى إبتغاء مرضاته والأكل من فتاته.. فكانت أبشع جريمة تقع على الأرض هي سرقة الناس وقتل أرزاقهم وإبتزاز الناس وضياع حقوقهم وقهر الناس إبتغاء ذلهم.. فكثر الفساد في الأرض.. فكثرت الجرائم واختل ميزان العدل.. وصار الظلم مشروعاً.. وعدم الظلم سراب بقيعة!!

ويشكو الناس من إختلال الأمن.. حتى في مسارات الطرق.. حتى في وسائل النقل عامة وخاصة.. حتى في القائمين بأمر هذه وغيرها... وتذكر الأسباب ويقوم علماء العلمانيين وغيرهم بالتفسير والتأويل.. ولا يجسر واحد منهم أيا كان موضعه ومهما كبر في نظر الناس منصبه.. أن يقول إن الأمر متعلق بضياع الحرية ووقوع الظلم وأن ما يحدث إنما هو رجع الصدى وبخار مكبوت في مواجيد الناس لا يدرون به في حقيقة ظاهر الفكر.. ولكنه الغليان في الدم لقهر فطرة الله في خلقه.

وتسرق أموال الناس من البنوك.. ولا ضابط.. وتسرق من المؤسسات الاقتصادية تحت اسم « الخسارة » أو « سوء الادارة » أو « كثرة عدد العاملين » أو.. أو.. وصارت السرقات بالملايين.. فلما زاد الاستبداد زادت إلى المليارات.

وتقع جرائم الزنا.. ليست في السر.. ولا في خباء... ولا في خفاء... ولا بالحيلة والتغرير.. ولكنها بالخطف من الطريق العام.. والقهر للنساء.. العاريات الكاسيات.. إغتصاباً مثل اغتصاب السلطة، واغتصاب المال.. ثم ذبح بعضهن

لإسدال الستار وتجميل الأمور.

وتكتب الجرائد بأن ما يبلغ به السلطات هو نذر يسير مما يهيل عليه أصحابهن تراب الخفاء خشية الفضائح وستراً للأعراض.

ويعلم الناس بفساد قوانين البشر وامتلائها بالثقوب وحنايا التضليل وعدم تجريم الكذب في القضايا المدنية.. ووسائل التعطيل.. ومثالب العمل من إرهاق كثرة العمل... وضياع الذمم عند بعض الفئات.. فتضيع الحقوق وتكثر القضايا حتى إذا حصرتها قال المختصون إنها عدداً ٣٢ مليون قضية..!!

وضياع الحقوق.. يعني الظلم.. واستمرار الضياع يعني إستمرار الظلم ويقول رب العالمين في الآية الوحيدة التي تتكلم عن هذا الأمر في القرآن كله[١]:

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾ [الأنعام: ٨٢].

والظلم هنا هو ضياع حقوق الناس حقهم في الحرية وحقهم في العدل وحقهم في عدم ظلمهم بأي نوع من أنواع الظلم... ولو كان تأخيراً في الفصل في القضايا؟!!

فإذا وقع الظلم.. ضاع الإيمان ووقعت الجريمة.. لأن «الحقوق» من فطرة الله في خلقه.. جبل عليها الإنسان.. لا يتركها ولا ينساها.. ويدافع عنها ولو بحياته.. فشرع الله العظيم له حق الدفاع الشرعي عنها ولو بقتل من يريد أن يسرقها منه أو يعتدي عليها.. أو يعتدى عليه.

من هنا كان سرعة الحكم بالعدل وعدم الظلم هما آية أساس «الملك» أي أساس الحكم في الأرض.

والحكم بالعدل لا يكون إلا بحكم الله، فإن زاغ إلى حكم البشر... تاه إلى سبل

---

(١) الظلم هو العدوان بإطلاق، فظلم الإنسان يشمل أي عدوان على شخصه وعلى جسده وعلى حقوقه.. أي عدوان مادي أو معنوي.

ضالة كثيرة.. هي المؤدية إلى كل الأزمات والجرائم والعذابات.

وإمتداد السلطة خارج الاختصاص تصير « نفوذاً » في غير إختصاص.. وهذا معناه قهر الناس؛ والقهر يؤدي إلى استعباد الناس واستضعاف آخرين، فالأول رضي أن يكون مستعبداً لصاحب النفوذ فهو عبده والثاني سكت [والساكت عن الحق شيطان أخرس][1].. ويبين لنا العلي الحكيم حكمه في المستضعفين فيقول سبحانه:

﴿إن الذين توفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ [النساء: ٩٧].

ويقول الطبري إن المستضعفين هم القائمين بدار الكفر مختارين ذلك على الإيمان والهجرة!!

ويقول البعض

إنَّ الحكم الصحيح هو « سيادة القانون » فإذا علمنا أن هذا القانون من وضع البشر.. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤].

فإن القاعدة أن ما كان من وضع البشر فهو ضد حكم خالق البشر.. وأنه هو المقصود بقوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ويفسدون في الأرض..﴾ [البقرة:]. أي هم الذين يضعون حكماً من عندهم أي قانوناً من عندهم غير حكم الله أي غير شريعة الله؛ فهم يحاربون الله بسلبه حكمه بين الناس ويضعوا حكماً من عندهم ظلماً لأنفسهم وللناس عدواناً على الله؛ هوى لهم وإبتغاء مصالحهم الخاصة. فتضيع حقوق الناس وحرياتهم ويملأ الأرض الفساد.

---

(١) حديث شريف.

ومِنْ ثَمَّ

علمنا مدى الجهل أو الخداع أو الضياًع !!!

وحكم الله هو «الحق»

والحق يُلزمك تَجسيد الصدق والأمانة في العمل والسعي.. ومن ثَمَّ تجد الحق أبلجًا واضحًا لا يجرؤ أحد على إنكاره، لأنه لا كذب ولا صمت عن الحق.

وبهذا تجد «العدالة» ذات أمارة بَيِّنة، فهي تُعطي الحق بكل اليسر والسرعة لصاحبه.. فيحجم الناس شيئًا فشيئًا عن إغتصاب حقوق بعضهم بعضًا.

فإذا كان ذلك واضحًا في الرؤية الفكرية، علمت فورًا السر والحكمة معًا في ربط الأحكام الإلهية بالإيمان وبكل القيم الخُلُقية معًا.. فلا عجب ولا دهشة من « شدة » الحكم الإلهي في قطع يد السارق وإعدام الزناة.. لأنهم وقد خالفوا حكم الله فقد خرجوا من خيمة الإيمان أو داسوا على كل خلق عظيم بيد الضلال والإجرام؛ قال تعالى:

﴿ والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرِّم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور: ٣].

ونخلص من ذلك إلى هذه الحكمة

لا حرية ولا أمن مع الظلم، ولا ظلم مع الحرية والحكم بما أنزل الله.

و[المسلم من سلم الناس من لسانه ويده]

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفصل التاسع

عالمية الأزهر والتزكية والتعليم

إنَّ الله العظيم

خلق كل شيء على الفطرة.. فطرة الله التي فطر الناس عليها ووصف(١) « الدين » بأنه « فطرة الله ».. وأن الناس فطروا عليه. قال تعالى:

﴿ فاقم وجهك للدين حنيفًا، فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم: ٣٠].

فالفطرة هي خَلْق كل شيء على الطاعة الكاملة والصراط المستقيم الذي هو « دين الإسلام » لله رب العالمين.

﴿ فالسماوات والأرض قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت: ١١].

١ - ﴿ ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

[النحل: ٤٩، ٥٠].

٢ - ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدَّواب وكثير من الناس.. ﴾ [الحج: ١٨].

٣ - ﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد: ١٥].

٤ - ﴿ تُسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن؛ وإن من شيء إلا يُسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم؛ إنه كان حليمًا غفوراً ﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) الفِطرة بكسر الفاء يعني الخِلْقَة. هذا لغة. وقال الطبري الفطرة الإسلام. والفَطرة بفتح الفاء يعني الشق.

أولاً ولأن

« الفطرة » هي أساس خلق كل شيء وأساس بقائه وأساس تسخيره وأساس الانتفاع به؛ فقد جعل سبحانه هذه الفطرة هي في ذاتها سنن إلهية، ولها أيضًا سنن إلهية تستمر بها، وسنن إلهية عليها إلى أن تقوم الساعة وتنتهي طبقًا للسنن الإلهية التي تأخذ بالسماوات والأرض وما فيها.

ولأن « القوة لله جميعًا » فإن هذه السنن جميعًا لا تبديل لها ولا تحويل، ولأن ذلك من عظمة الله مالك كل شيء والذي بيده ملكوت كل شيء فإنّه سبحانه تكفل بحفظ الكون وحفظ القرآن وحفظ الإنسان.. لا يستطيع أحد أن يجور على أي منها.. ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. و﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر: ٩]. ﴿ وله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [الرعد: ١١].

والمقصود بسنن الله في كل ما خلق وحفظ كل ما خلق وتسخير كل ما خلق هو « العلوم » التي خلق بها كل ما خلق وأبرأها أي أوجدها وصورها وسخرها ثم سجلها جميعًا في كتابه المحكم بيانًا للناس وإعجازًا وأدلة يقين للإيمان برب العالمين وعبادته.. ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

وحَرَّض رب العالمين وأمر الناس أجمعين بكل الصراحة والوضوح أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض ومن فيهن وأن ينظروا إلى السماء وأن يتفكروا في أجرامها وأن يتفكروا في كل ما خلق الله من شيء.. وبَيّن سبحانه أن هذا « التفكر » هو الذي يأخذ بيد الإنسان وعقله وكل مواجيده إلى اليقين بالله طاعتة وطاعة رسوله.

﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض، وما تُغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿ وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [الأنعام: ٧٥]. فأراه النجوم والقمر ليلاً والشمس نهاراً أدلة الألوهية الأحدية الخالقة القادرة عليها.. وبين للناس بكل الوضوح أن أسباب وأدلة اليقين بالله إنما هي كامنة في علوم الطبيعة والفلك والخلق وأن هذه العلوم هي « أرقى وأعظم » حديث في هذا السبيل في قوله تعالى:

﴿ أوَلَمْ ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد إقترب أجلهم؛ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ومع أن الله سبحانه

قد فصَّل هذه العلوم تفصيلاً كثيراً وبمنتهى الدقة طبقًا لحكمه سبحانه في قوله تعالى:

﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾

فبين في كتابه في آيات كثيرة بداية الأمر بالنسبة لخلق الكون ثم بين ترتيب هذا الخلق مرحلة بعد مرحلة، ومدة كل رحلة؛ وماذا خلق في كل منها؛ وبعد إنتهى من هذا عطف على زينة السماء وهداية الإنسان وحفظ السماء والبروج من الشيطان.. ثم عطف على مراحل « دحو » الأرض ورفع السماء ثم استوائه سبحانه على العرش ثم تسخيره للشمس والقمر وَمَدِّ الأرض إلى قاراتها الحالية ونصب الجبال وخلق الأنهار والثمار... واستقرار « الطبيعة » للإنسان يجري النيل والنهار ومن كل شيء خلق زوجين إثنين[١].

فإنه مع ذلك ورغم ذلك

وجدنا الناس يلقون بآيات الله وراء ظهورهم ويعرضوا عما فيها من « علم » ويهرعون بغير عقل ولا إيمان خاضعين راكعين للذين كفروا بالرحمن، يطلبون منهم

---

(١) كتب المؤلف السالف بيانها.

« العلم » والوسيلة في منظر يُرثى له ظاهره الرياء والخديعة والجهل والغباء وباطنه فيه قهر المشركين يحتل القلوب ويتغشى المواجيد.. كأن في آذانهم وقرًا وعلى قلوبهم أكنة وعلى أبصارهم غشاوة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والأمر المؤسف حقًا

أن هؤلاء المشركين صادقون مع أنفسهم، فهم لا يَدَّعون أن لديهم « علمًا » أو « حقائق علمية » بل يقولون بمنتهى الوضوح والصراحة أنها « أفكار » و« نظريات علمية » قابلة للإلغاء والتبديل والتعديل... ومع ذلك نرى الناس المقهورين يقولون إنها « حقائق علمية ثابتة »! وآخر يقول إنها « حقائق علمية حديثة مستقرة »!! وآخرون أحدهم يرحمه الله قال لي إنني أصدقك تمامًا ولكني لا أستطيع أن أقول ذلك وإلا قام العالم ضدي، وآخر على قيد الحياة – مد الله في عمره – قال لي إنه لا علم له في ذلك ﴿ وأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾.. واستعرض معي ومع الأستاذ محمود مهدي مساعد رئيس تحرير الأهرام أسماء بعض أساتذة الطبيعة في مصر لهذا الشأن!!

وإذا كان الأمر كذلك

وإذا كان العلي الكبير قد أمرنا ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء: ٥٩] فهل نعود إلى الله وكتاب الله وسنة رسول الله في مؤتمر علمي رفيع المستوى لأساتذة الطبيعة وعلومها يعقد ومعهم كل من قال بعلوم الطبيعة والفلك والجيولوجيا والجغرافيا والكيماء والجغرافيا البشرية، والتاريخ الطبيعي والحساب.. إلخ من القرآن وطبقًا لصحيح تفسيره ضد فكر الماديين والمشركين عسى الله أن يهدي به أمة المسلمين، ويُبين الغباء والجهل بصحيح علوم القرآن في الخلق والأمر وفساد أفكار ونظريات الماديين حتى لا نقف أمام الله في الآخرة موقف المتحسر الكافر الظالم(١)!!

(١) الغباء هو الوقوف بالإدارة عن إدراك العلم والجهل هو عدم علم الحقيقة.

وإذا كان مؤلف هذا الكتاب في سنتي ١٩٨٣ و١٩٨٦

ومن قبل الاكتشافات العلمية الحديثة في أغوار جو السماء وعلى مشارف السماء، قد كتب حقيقة علم الطبيعة وأن الأرض مركز السماوات السبع وأنها أول شيء خلقه الله في الكون مبينًا تناقض أفكار المشركين لعلوم الكيمياء والطبيعة ومبينًا صحيح التفاسير القرآنية التي تتفق مع قواعد نحوها وصرفها والقواعد الأصولية اللغوية والتشريعية وعلم البلاغة وما قاله أئمة المفسرين الذين لم يكونوا في هذا الوقت الردئ الذي قهر فيه الحق وضاع فيه صحيح البصر وصار بعض الناس ﴿ ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾(١)

وإذا كان مؤلف هذا الكتاب في سنة ١٩٩٥

قد بَيَّن ذلك « تطبيقيًا » على حقيقة خلق الأرض وخلق النبات والحيوان والإنسان وانتصاب قامته ثم بناء السماء ثم رفع السماء ومد الأرض من قبل ثم مدها في ثانية من بعد ثم نصب الجبال وخلق الأنهار والثمار وتسخير الشمس والقمر.

ثم بين مؤلف هذا الكتاب سنة ١٩٩٧

مرة ثانية « تطبيق » ثبات الأرض مع دوران القمر والشمس بحسبان حول الأرض مرة في كل ٢٤ ساعة وسيرها في منازلها من البروج مرة كل شهر. بالأدلة العلمية المادية وطبقًا لما أسفرت عنه تجارب مراكب الفضاء وطبقًا لما ورد في كتب ونشرات منظمة اليونسكو وكتب الطبيعة.

وإذا كانت كتب المؤلف قد سلمت نُسخ منها إلى وزارة التعليم في حين صدورها. ففي سنة ١٩٩٢ أصدرت الوزارة قرارها بأن تشتري مدارسها كتاب « رحلة

---

(١) راجع الشيخ محمد متولي الشعراوي أصول كتاب « الله والكون » سنة ١٩٨٣ ودعا للمؤلف بالتوفيق!

في أعماق الكون »[1] لتثقيف المدرسين (وليس التلاميذ) في جميع مراحل التعليم، وفي سنة ١٩٩٥ أصدرت قرارها بشراء كتاب « حكاية البشر.. علميًا » لطلبة المرحلة الثانوية علمي وسنة ١٩٩٧ لشراء كتاب « القمر في الطبيعة » لمرحلة الثانوية علمي[2]؛ باعتبار هذين الكتابين من كتب العلوم البحتة وجاء ترتيبها قبل كتب الأساتذة والعلماء؟!!

وإذا كانت وزارة التعليم

لم تفعل ذلك إلا بعد بحث هذه الكتب بحثا علميًا متأنيًا بواسطة لجنة مستشاريها العلميين؛ فإن ما يمكن أن يصدر في « غفلة » من هذا عن دائرة يرأسها بعض الذين ليست لديهم دراية ولا علم أصلاً بعلوم الطبيعة مُدَّعين تفاسير باطلة ظاهرًا وباطنًا ضد آيات الله العظيم بل وضد الأدلة العلمية المادية التي نوجز بعضها في التالي:

١ – ثبت بالقياس المادي لأجهزة القياس أن عمر الأرض من بداية عمر الكون الذي مضى عليه الآن ١٥ مليار سنة. يعني « خلق الأرض » كان منذ بداية عمر الكون.

٢ – أن عمر الشمس ١١ مليار سنة وهذا يعني أن خلق الأرض أسبق بـ ٤ مليار سنة عن خلق الشمس.

وهذا البيان وحده يهدم فكرة كربرنيكس وجاليليو وكبلر ونيوتن، وتفصيل ذلك في كتابنا « القمر في الطبيعة ».

---

(١) أول قائمة الكتب (يعني قبل كتب جميع العلماء والأساتذة الجامعيين؟!) وسلمت منه عدد ٤ نسخ هدية لفضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.. في حينه ودعا للمؤلف بأن يجعله في ميزان حسناته.

(٢) وسلمت نسخة منه لفضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية في حين صدوره.

٣ – أن مادة خلق الأرض أضعاف كل مواد الأجرام الأخرى الموجودة في الكون أضعافًا لا تعد ولا تحصى وتفصيل ذلك في كتابنا « رحلة في أعماق الكون ». وهذا يهدم قانون!! التجاذب الكوني في نيوتن من أساسها.. وكل أفكار من سبقوه!!

٤ – أن تجارب الفضاء لمركبة الفضاء الروسية فسخود – ٢ سنة ١٩٨٥ وسكاي لاب الأمريكية سنة ١٩٨٥ أثبتتا أنه على ارتفاع ٤٠٠ كم من سطح بحر الأرض لا توجد جاذبية.. وأن كل شيء يكون في هذا الارتفاع في حالة « إنعدام وزن » وهذه النتيجة « المادية » تهدم فكر نيوتن أيضًا كما تهدم كل ما قاله كوبر نيقوس وجاليليو.. إلخ.

وغير ذلك أدلة كثيرة علمية مادية في كتبنا سالفة البيان

فهل نعود إلى العقل ونتفكر في القرآن وننظر إلى الكون بالصدق والأمانة ولا نكون ذيولاً خانعة مقهورة ضائعة للماديين والمشركين.. وبلا أي دليل علمي مادي ولا دليل من آيات الذكر الحكيم.. هل نترك الخبل العقلي والقهر النفسي؟

إن الماديين

يقولون إنهم يبحثون عن دليل لفكر كوبرنيكوس وجاليليو وكبلر

فلما قال نيوتن إنها « الجاذبية الكونية » « قياسًا » على الجاذبية الأرضية، فرح الماديون، واتخذوا هذا « القياس » صنمًا؟ وإن كانوا للأمانة لم يتخذوه « علمًا » لأنه مجرد قياس(١)!!

وأخيرًا أثبتت تجارب الفضاء وإنعدام الوزن بطلان هذا « القياس »

---

(١) كتاب « من الذرة إلى الطاقة » للدكتور جمال الدين نوح – صفحة: ١٧.

وسبحانه وتعالى عما يشركون

الذي قال: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ [السجدة:] وكلمة «ما بينهما» أيها العلماء الأفاضل تعني أن الأرض في مركز السماوات السبع لأن بينهما فاصلاً(١) مكاناً قال عنه سبحانه في سورة النحل:

﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله؛ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [النحل: ٧٩].

إستغفروا الله وتوبوا إليه تبارك وتعالى العلي الكبير

ومن ثمَّ

كان على «الأزهر الشريف»

أن يعلِّم القرآن بعلوم القرآن.. كل علوم القرآن بداية من قواعد اللغة العربية.. حتى علوم السماء.. ولا نقول علوم الفضاء كما يقول الماديون الذين لا يؤمنون بوجود السماء!!

وأن يُعَلِّم تلاميذه والناس أجمعين هذه الآيات بصحيح قواعد اللغة العربية فمثلاً يقول أحد كبار علماء الأزهر إن الله يقول أنظروا ماذا في السماوات يعني العلم الذي في السماوات(٢). وهذا خطأ فكلمة انظروا عندما تتعدى بحرف الجر تفيد الرؤية بالعين فإذا لم تتعد بحرف الجر فتفيد التربص والانتظار!! وبعد الرؤية بالعين وتحصيل المعارف يتدبرها الإنسان ويعقلها ويستنبط منها «العلم». فالأول الرؤية بالباصرة وهذا ما قاله لنا ربنا حاكياً ما فعله مع إبراهيم عليه السلام وقومه فس سورة الأنعام ٧٥ – ٧٩

(١) في أثناء لقائي مع الدكتور/ محمد سيد طنطاوي سالف الإشارة فإنه لما سمع هذه الآية قال: إنها تعني أن الأرض مركز السماوات.. «أمال بيقولوا إنها في مجرة نجمية ليه؟!!».

(٢) جريدة «العربي» الصادرة يوم الثلاثاء ١٣ من المحرم سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٨/٤/٢٠٠٠م صفحة / ٣.

ومن ثم؛ فلا تقوقع ولا جمود ولا جري خلف الماديين عبيطًا جاهلاً.

وإذا كان الأزهر الشريف

هو أعظم جامعة إسلامية على وجه الأرض، حباه الله العظيم لمصر، ضارب جذور الثقة والحب في قلوب المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها.

وإذا كان الثابت حاليًا أن القرآن العظيم كتاب نزل بعلم الله حقًا للناس أجمعين، فإذا تدبروه قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.. لا جدال فيه إلا الذين كفروا فنجادلهم « بالعلم » وليس بآيات الله حتى إذا أيقنوا بها أسلموا تنفيذًا لسنة الله العظيم في قوله تعالى: ﴿ .. إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾.

فيجب إذًا أن يعاد ترتيب جماعة علماء الأزهر بحيث تكون عالمية وعلمية شاملة لكل علوم القرآن وهي كل العلوم في الأرض وما فيها والسماوات وما فيها وما خلق الله من شيء حتى يقوموا بحق الله في وجوب بيانه للناس.

﴿ ... وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم، ولعلهم يتفكرون ﴾

[النحل: ٤٤].

وإذا كان بعض الناس يظن أن علوم الطبيعة بوصفها علوم مادية ليس لها من صلة بالقرآن ولا بالإيمان (العقيدة)؛ فهذا نوع من الجهل الغريب.. ذلك بأن الله سبحانه إنما يثبت أحديته ورحمانيته بكل علوم الخلق والتسخير وهي كلها من علوم الطبيعة، فلا يستطيع إنسان أن يصل إلى « حقيقة الخلق علميًا » إلا بعلوم الطبيعة[١]. أما إذا تفكر فيها بالأدلة العقلية النظرية فقط فهذا أمر موجود أيضًا في القرآن الذي جعله الله لكل زمان ومكان. فما كان الناس ليتفكروا في خلق السماوات والأرض حين نزول القرآن إلا بالأدلة العقلية النظرية.. أما الآن وبعد الاكتشافات العلمية الحديثة.. فإن ذلك أيقن

(١) علوم الطبيعة هي التي تبحث في الماديات غير الحية يعني الجماد مثل الفلك والجغرافيا والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والحفريات والشمس والقمر والأرض والنجوم والكيمياء.

للناس أن يكون بالعلم فقال سبحانه وتعالى في بيان « الجدال » في الله يعني في كلامه وفي كونه الذي خلق بأن ذلك يكون بداية بالعلم: ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [الحج : ٣].

فلأن الجدال

لا يكون إلا مقارعة الحجة بالحجة، والحجة هي الدليل الحاسم القاطع.

فإنما يكون بالحجة العلمية أي الدليل العلمي الثابت القاطع وليس بالأفكار أو النظريات(١)! فذلك جهل شائع ونعوذ بالله العظيم منه وممن يتبعوه... أفلا يعقلون؟!

ثانياً

وقد ثبت أن « المادة » بإطلاق إنما هي رداء وكساء للقدرة الإلهية(٢).

فالذرة الجامدة إذا شُطرت خرج منها مارداً من النار ومارداً من الضغط ومارداً من النور.. إلخ. وجسم الإنسان كساء للنفس.. ذلك الخصيم المبين لرب العالمين!!

وكل « الأسماء » التي خلقها الله العظيم بها سلطان.. والتي لم يخلقها ليس بها من شيء.. والسلطان هو علم الله فيه وقوة هذا العلم طبقًا لسنته.

وإذاً فيخطئ من يقول إن « العلوم المادية » ليس لها من صلة بالقرآن الذي يقول فيه رب العالمين أنه ﴿ خالق كل شيء ﴾ وأن ﴿ بيده ملكوت السماوات والأرض ﴾.

---

(١) جريدة « العربي » السابق ذكرها.

(٢) المادة بإطلاق هي: (أ) المادة الحية.. مادة النبات والحيوان والإنسان ويسميها العلماء العلمانيين بانها المادة الحية وهي مباحث علوم الحياة. (ب) والمادة غير الحية فهي علوم الطبيعة التي هي ظواهر المادة في ذاتها وما قد يطرأ عليها بسبب عامل خارجي كالحرارة والبرودة والاشعاع والتفاعل مع الجو أو الماء.. إلخ وحركة هذه المادة كتعاقب الليل والنهار وجري الكواكب وسرعة الضوء والصوت والحركة وقوانينها والجاذبية وعلوم الذرة والكيمياء.. وهي ما تسمى بالفيزيقا.

فاللهم ندعوك أن تعلمنا وتزيدنا علمًا وتجعل القرآن العظيم مبلغ علمنا ونور حياتنا وآخرتنا وحكم بلادنا وبلاد المسلمين أجمعين.

ومن ثم

فالعلم « بالمادة » دون « اليقين » بقدرة الله العظيم فيها وعليها، إنما علم ضحل وسطحي وأجوف ومُدمِّر.. وكذلك كانت حربان عالميتان اتت على الأخضر واليابس.. وكلما زاد « البعد » عن اليقين بقدرة الله في كل ما خلق الله مادة جامدة ميتة.. ومادة حية.. زاد دخول الإنسان إلى دوائر الخلود إلى ماديات الحياة.. المال وزينة الدنيا.. والتكالب عليها.. فالإختلاف على الإستيلاء عليها.. فقيام الحروب.. وإهدار الحياة.

ولقد ضرب الله العظيم للناس في القرآن من كل مثل لعلهم يفقهون

فيقول لنا العلي الكبير في شأن المادة الحية في شأن خلق الإنسان (في الحياة الدنيا) ونفخ النفس فيه وكذلك خلق الأنعام في قوله تعالى:

﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق ﴾ [العلق: ١، ٢].

﴿ خلقناه من نطفة ﴾ [يس: ٧٧].

﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ [السجدة: ٩].

﴿ أو لم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون.. ﴾ [يس: ٧١].

وضرب الله العظيم مثلاً في خلق النبات

﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء إهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ [الحج: ٥]. وفي الكيمياء في « إهتزت وربت »

﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ [يس: ٣٧].

وآيات أخرى كثيرة

وضرب الخالق العظيم للمادة غير الحية (الميتة) مثلاً في قوله تعالى : (الفلك والطبيعة)

﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾

[يس : ٣٧ – ٤٠] .

﴿ إلى أجل مسمى ﴾ [لقمان : ٢٩] .

﴿ وهو الذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار كل في فلك يسبحون ﴾

[الأنبياء : ٣٣] .

والقاعدة هنا أن الواو حرف عطف نسق لمطلق الجمع بلا ترتيب ولا معية، كما أنها قد تكون لمطلق الجمع مع الترتيب بغير بيان لاتصال زمني أو للمهلة . . وإنما الآية تدل أن خلق الشمس والقمر والليل والنهار إنما كان لعلة معينة هي أن يجري كل منها في فلكه الذي سخره الله العظيم للجري فيه . . قال تعالى :

﴿ وسخَّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخَّر لكم الليل والنهار ﴾ [إبراهيم : ٣٣] .

وضرب العلي العظيم مثلاً في الرياح والمطر والبرد في قوله تعالى : (جغرافيا وأرصاد جوية)

﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها؛ إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾

[الروم : ٤٨ – ٥٠] .

﴿ والذاريات ذروًا * فالحاملات وقرًا ﴾ [الذاريات: ١، ٢].

﴿ ألم تر أن الله يُزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء؛ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ [النور: ٤٣].

وضرب الخالق مثلاً في الجيولوجيا الجغرافية وجيولوجيا التاريخ الطبيعي.. كيف تسير الأبحاث بالحفر في الأرض واستخراج الحفريات وقياس أعمارها مع أعمار الأحجار ليعرفوا الأحقاب الجيولوجية وأعمار المخلوقات وأنواعها وتطورها ونشوئها وفنائها ومدّ الأرض وتكوين القارات.. إلخ في قوله تعالى:

﴿ أو لم يروا كيف يُبدئ الله الخلق ثم يعيده؛ إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله يُنشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠].

وضرب الله مثلاً في التدليل بعلوم الطبيعة على حقيقة الأحدية الإلهية الرحمانية الرحيمة في قوله تعالى:

﴿ وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

وكثير من الآيات الكريمة في القرآن العظيم التي تثبت «الحقيقة العلمية لخلق الكون وكل ما خلق الله من شيء» كما تثبت «الحقيقة العلمية للأمر أي للتسخير» والتي جاء عنوانها الإلهي في قوله تعالى:

﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة: ١١٧].

و﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس: ٨٢].

وضرب الله مثلاً في إخراج المادة الحية من المادة الميتة

ففي بداية الخلق أو النشأة لأول مرة للإنسان عندما خلقه ربه في أدنى خلق.. يقول العلي الكبير:

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون ﴾ [الروم: ٢٠].

والتفسير العلمي لهذه الآية جاء في الآية الأولى من سورة الإنسان وفي الآيتين ٧، ٨ من سورة السجدة.. فلما أراد أن يجعل الإنسان أهلاً للابتلاء بين ذلك في الآية الثانية من سورة الإنسان والآية ٩ من سورة السجدة.

وكل هذه الآيات تَثْبتَ « علميًا وماديًا » و« عقليا » بكافة وسائل البحث العلمي في كل أنواع المادة.

وطالما أن إيجاد الشيء بإطلاق إنما يتم « بقدرة الخالق » ويجعل فيه ما يريد أن يضعه فيه.. فيكون « خلقًا لمخلوق » أو « إسمًا له سلطان »؛ فقد « بيَّن » الله العظيم أنه قد جعل في « الإنسان » سرًا إلهيا يُنفخ فيه من روحه على رأس ١٢٠ يومًا جنينًا في بطن أمه.. وأن ما يحدث للإنسان فإنه بالمثل يحدث لكل ما خلق الله من شيء حصرها ربنا في قوله تعالى:

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والدليل العلمي على هذا قد « ظهر » في أبحاث الثورة الرابعة البيولوجية المسماة بالهندسة الوراثية، حيث أثبتت التجارب العلمية المادية التي أجراها الماديون العلمانيون على الحيوان المنوي منفرداً وعلى البويضة منفردة وعليهما معًا نطفة أنه يمكن حفظهما لأي مدة في درجة حرارة منخفضة فيتجمدوا.. حتى إذا أرادوا إعادتهم مرة أخرى أخرجوهم من هذا التجمد إلى درجة الحرارة العادية فيعودوا كما كانوا من قبل.. أما إذا كانت النطفة قد صارت علقة فمضغة ومضى عليها أكثر من ١٢٠ يومًا، فإن

تجميدها يؤدي إلى هلاكها.. أي موتها؟!

وذلك بَيَّنَه الحديث الشريف المتفق عليه بسنده عن ابن مسعود: [إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح...] بيانًا لقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ [السجدة: ٩].

وهذه التجربة أثبتت أن «الحياة» تبدأ في الجنين بعد ١٢٠ يومًا أما قبل ذلك فلا حياة له.. بمعنى أنه بعد ١٢٠ يومًا يكون قد نفخ ملك الروح السر الإلهي (النَفْسَ) في الجنين. أما قبل ذلك فلا يوجد في الجنين نفسًا ومن هنا جاء الحكم الإلهي ﴿من قتل نفسًا﴾ ﴿ومن أحياها﴾ ذلك بأن «النَفْسَ» هي الحقيقة الإلهية أما الجسد فهو الرداء أو الكساء الذي يُغَلِّفها.

فكل «مادة» حتى ولو كانت غير حية.. إنما هي «كساء» للسر والقدرة الإلهية التي فيها.

ومن ثم

فعندما نقرأ قوله تعالى:

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله﴾ [الحشر: ٢١].

وقوله تعالى عن الحجر:

﴿... ومنها ما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة: ٧٤]

و﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ [الدخان: ٢٩].

نعلم أن «السر الإلهي» إنما هو أساس كل مادة حية وغير حية أي ميتة.. وأن الله الخالق العظيم له في خلقه شئون وأن سر الخلق لدى الخالق.. وظواهره تتحدث عن

ذلك بكافة « الظواهر » التي في المادة أو تطرأ عليها لأي سبب في ذاتها أو بتأثير من خارجها بقدر الله.

﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ [الزمر: ٦٢].

﴿ إن الله فالق الحب والنوى يُخرج الحي من الميت ومُخرج الميت من الحي؛ ذلكم الله فأنّى تؤفكون ﴾ [الأنعام: ٩٥].

فأين وجوه الصّد عن « الحق » أيها الناس؟!

ثـالثـاً

إن القرآن العظيم يتكون من ٦٢٣٦ آية وأنزل باللغة العربية متضمنًا كل شيء ومفصلاً لكل شيء من أول معاني الكلمات وقواعد اللغة وعلم بلاغتها وقواعدها الأصولية اللغوية وقواعدها الأصولية التشريعية وكافة علوم الآفاق والإنسان وكل ما خلق وكافة العلوم الإنسانية والتشريعات لكل شيء في الحياة.. بعظمة الإعجاز لكل مكان في كل زمان.. إلى أن تقوم الساعة ويتم الحشر والحساب والجزاء.

وحتى يكون « العلم » صحيحًا، فقد جعله الله ﴿ قرآنًا عربيا غير ذي عوج ﴾ فالعلة أن يكون ﴿ عربيا ﴾، والحكمة تكملة الآية ﴿ لعلكم تتقون ﴾. فبصحيح فقه القرآن يجيء « اليقين » بالله العظيم ومن ثم تكون « التقوى » هي المحصلة العظمى من العلم بالقرآن.

وأساس الدين هو «الإيمان بالغيب»

ودليل الإيمان بالغيب هو العلم بالخلق والأمر أي العلم بخلق السماوات والأرض وما بينهما وكل ما خلق الله والقدرة الإلهية التي تسيطر على كل شيء وتسخر كل ما في السماوات وما في الأرض للإنسان.

وهذا لا يتم إلا بأمرين:

الأول: أن يكون التعليم لكل العلوم باللغة العربية وحدها..

الثاني: أن يكون « العلم » مستنبطًا من الكون مسجلاً في القرآن العظيم أو مستنبطًا من القرآن العظيم بشهادة الواقع في كون الله العظيم.

ولا شك أن « التجارب العلمية المادية » أمر مطلوب جداً سواء في علوم المادة الحية وفي علوم المادة غير الحية.. في الأرض وعلى وجه الأرض.. في جو السماء وفي داخل السماء.. وفي الكواكب.. وفي كل ما يستطيع الإنسان أن يصل إليه في كون الله.

ولا شك أن هذه التجارب تكون ذات شأن وصحيح نتائجها إذا اتفقت هذه النتائج مع ما هو مسجل في كتاب الله العظيم، وإلا كانت غير صحيحة.

فمثلاً عندما يقول الماديون إنه لا يوجد شيء اسمه سماء إلا في الكتب الدينية.. فإن هذه المقولة تكون باطلة، وعندما يقولون إن « الأرض » ليست أرضاً واحدة ولكن يوجد منها الآلاف والملايين، فإن هذه المقولة تكون باطلة؛ وعندما يقولون إن الأرض كوكب تابع للشمس داخل مجرة سكة التبانة، فإن هذه المقولة تكون باطلة، وعندما يقولون إن آخر شيء نشأ في الكون هو نشأة الأرض فإن هذه المقولة تكون باطلة، وعندما يقولون بأن الأرض تدور حول الشمس، فإن هذه المقولة تكون باطلة وسفيهة وغبية وعبيطة الكل معًا، وعندما يقولون إن الشمس كتلتها ضعف كتلة الأرض ٣٣٠ ألف مرة[١]، فإن هذه المقولة تثبت الغفلة الهائلة التي تتغشى هؤلاء العلمانيين الماديين[٢]. ذلك بأن هذا كله يتناقض مع القرآن ويتعارض كما يتعارض الأبيض مع الأسود والعلم مع الجهل.

ولكن

عندما تثبت تجارب « الفضاء » كما يسميها العلمانيون والماديون أنه لا توجد جاذبية للأرض ولا للشمس ولا للقمر على إرتفاع ٤٠٠ كم من الأرض، وعندما تثبت

---

(١) كتاب الفلك والحياة/ ٥٠.

(٢) كتاب: « رحلة في أعماق الكون » – صلاح الدين أبو العنين.

التجارب والأقيسة المادية أن عمر الأرض يبدأ منذ بداية وجود الكون منذ ١٥ مليار سنة، وعندما تثبت هذه التجارب أن الشمس وجدت منذ ١١ مليار سنة.. وعندما يصف رواء الفضاء الروس الملحدين السماء بأنها ظلام كامل بغير قاع و لا قبة.. فإن هذه التجارب تكون متفقة تمامًا مع القرآن العظيم. وهي في ذات الوقت تدفع مقولات كوير نيقوس وجاليليو ونيوتن وكل « النظريات العلمانية عن الكون » بالبطلان والسفه والغفلة.

ومن هنا

نجد أن تعليم القرآن بعلوم القرآن وتعليم كافة العلوم بحقائق العلم القرآني وشواهد الكون الإلهي، إنما هو السبيل الآكد والوحيد الذي يجعل أمة الإسلام جميعًا على علم صحيح وسبَّاقة في علمها على العالمين وقدوة للناس جميعًا.. مرتدية لباس الحق والقوة العلمية فهي في موقف فكري حقيقي واحد.. ومن ثم يتحقق قوله تعالى:

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فإذا إكتفى « الأزهر الشريف » بأن يعلم ويدور في كل مناهجه على تعليم أصول الدين والشريعة واللغة العربية في آيات لا تتجاوز ثلاثمائة اية فقط؛ فإنه يكون قد أهدر أكثر من خمسة آلاف آية دون سبب إلا الادعاء بان « علوم الطبيعة » ليست من علوم القرآن.. وهو إدعاء ليس له أي وجه ولا دليل.. مثل إدعائه بان القرآن ليست له صلة بالعلوم المادية.. مع أن أعظم ما في القرآن هو علم الطبيعة وعلوم الحياة.. أي علوم المادة بإطلاق.

رابعـاً

تزكية الإنسان هي الركيزة الأولى والحقيقة للإقبال على « العلم بالقرآن » وليس على « القرآن بالعلم »

فالله سبحانه وتعالى بيَّن لنا ذلك في قوله تعالى:

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويُزكِّيكم ويُعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة: ١٥١].

أي عندما يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس آيات الله؛ فإن كانوا قد صدقوا الرسالة وصدقوا معجزات الله في الكون فإنهم يكفرون بالجبت والطاغوت ويفرغوا ما في صدورهم من أدران الكفر ونجس الشيطان، وتصير نفوسهم قد سمت فأبصرت بنور الله صحيح طريق العلم وبسلوك هذا الطريق « العلمي » تقبل على تعلم القرآن العظيم.

فإن الله سبحانه شرط على من يحاول أن يحاج الذين كفروا أن يجادلهم « بالعلم » وليس بآيات الله.. لأنهم بداية لا يؤمنون بها، فإن صدَّقوا قدرة الله في معجزاته « بالعلم » فقد صارت نفوسهم زكية طاهرة ترنوا إلى نور العلم الإلهي في كتابه المعجز المحكم.

وإذا كانت « التزكية » قد تقدمت على « التعلم » باللغة العربية وتعليم الكتاب بها.. بلغته.. فإنما لأن « الصلة » بين « التزكية » والتعليم كالصلة بين النفس والجسد.. كلاهما لا يقوم إلا بالآخر.. فسنرى ذلك جليًا واضحًا في الطريقة العقلانية في شرح وبيان كيفية « جذب » الإنسان من « عقله وفكره » إلى ميدان الإيمان أي التصديق بالله:

١ - فها هو إبراهيم عليه السلام يجمع قومه على رؤية النجم فالقمر فالشمس حتى إذا فرغوا من الرؤية المادية الصادقة التي تطرد الغفلة؛ التي تقول بأن الأصنام هي الآلهة؛ خلص إلى أن الذي يسخر هذه الكواكب إنَّما هو الذي خلقها.. وليس الأصنام.

٢ - وها هو إبراهيم عليه السلام نفسه، يُلْقَى به في أتون النار مكتوف الأيدي والأرجل على أعين النمرود الملك وملأيه وقومه، فيأمر الله النار بأن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم، فتحرق النار كل شيء وتحرق قيود إبراهيم وتكون في

ذات الوقت برداً وسلاماً على إبراهيم... فيعلموا أن الأمر لله الذي خلق النار، وليس للأصنام التي يعبدونها.

٣ - وها هو موسى عليه السلام يعبر طريقًا يبسًا في البحر، فإذا تبعه فرعون إلتأم البحر عليه وأغرقهم جميعًا، فعلم فرعون ومن معه أن الله الحق هو رب موسى وهارون ولكن هذا التصديق.. هذه التزكية لم تكن تنفعهم وهم في موقف الموت.. لأن « الدين » أساسه الفكر الحر بالعقل الحر.. وموقف الموت يعدم هذه الحرية من أساسها ويشل العقل عن كل شيء.

٤ - وها هي البحار معجزة دائمة تفقأ عيون الكفرة، وتقول لهم إن الفلك التي تجري في البحر آية عظمي من آيات الإعجاز الإلهي.

٥ - وها هي الأرض كرة ولكنها « بقدرة الله » وعلى خلاف الفكر العلماني تقول لهم إن الله جعل « لهم » الأرض مبسوطة، فمن يقف عليها ومن يبحر بسفينة أيضاً في شمال الأرض يرى نفسه « فوق الأرض وفوق الماء »، وفي ذات اللحظة فإن الذي يقف على جنوب الأرض ومن يبحر بسفينة أيضاً على بحار الجنوب، فإن يرى نفسه « فوق الأرض وفوق الماء » ولكن إذا جعلت ذلك منظراً تراه أنت من بعيد عن كرة الأرض، رأيت الأول « فوق الأرض والماء » والثاني « تحت الأرض والماء »!! آيات الله العظمى.. وكثير من آيات الله في الأرض قال تعالى:

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ [الذاريات: ٢٠].

وكذلك جعل الله سبحانه آيات كثيرة في السماء حيث قال سبحانه:

﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون ﴾ [الأنبياء: ٣٢][(١)].

(١) راجع شرح وبيان تفصيلي لآيات الأرض وآيات السماء في كتابنا « القمر في الطبيعة » صفحة: ٥٦ إلى ٨٨.

والمستفاد من هذا الموضوع

هو أن تكون تلاوة القرآن على هدى « العلم الظاهر في الكون وما خلق فيه من شيء حتى يستطيع الإنسان أن يتزكى وتطهر مواجيده من غث وخبث الباطل.. فإذا مواجيده قد صغت للحق وتعلقت بنوره ونَوَّ الله لها طريق التصديق بالله فتسلم له وتقبل على علوم القرآن فتنهل منها بشغف المحب للحق المحب لربه.. فيقول لنا ربنا سبحانه شارحًا حال نفس هذا الإنسان:

﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ [الزمر: ٢٢].

فالله الخالق العظيم جعل في كل ما خلق من شيء أشياء على عكس السنن الكونية ليقول للناس بها أنه يخلق ما يشاء بقدرته ويفعل ما يريد فيها بقدرته حتى لا يدعي أحد على الله إفكًا وزورًا، وهذه « الهداية » تجعل لكل ذي عقل نورًا يمشي به في تفكره وفي مسيرته في قوله:

﴿ ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ﴾ [النور: ٤٠].

والله الرحمن الرحيم

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخركم من الظلمات إلى النور ﴾

[الأحزاب: ٤٣].

ومن ثمَّ

فإن تقاعس الناس أو ترك الناس « كتاب الله العزيز » والتمسوا « العلم »؟! عند الماديين أو غيرهم من هؤلاء الذين إنسلخوا من آيات الله!! هؤلاء الذين يرعوا في « الصناعة ».. الذين عرجوا في السماء ومشوا على تربة القمر وأرسلوا مراكبًا تدور حول المريخ وتنزل عليه!! وظنوا فيهم « أنهم أصحاب العلم » وأنهم على كل شيء قديرين.. ونسوا الله.. وتأولوا عليه سبحانه وطوعوا تفسير الآيات لتواطئ الذين كفروا.

وتدعيماً لهذه الخُطى الفعالة قالوا إن علوم الطبيعة وعلوم المادة عموماً ليست من علوم القرآن.. وأنه بالتالي لا بأس من تعلم العلوم المادية من أصحابها الماديين!! مع أن الله خالق كل شيء وله في كل شيء سننه وآياته!!

وإذا سألت كبيرهم عن شيء من علوم الطبيعة قال: ﴿إسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ مع أن « الذكر » هو القرآن و« المذكِّر » هو رسول الرحمن يذكرٌ الناس بالقرآن وبكل علوم القرآن.

وترتب على هذا « الخواء العلمي » أن الأزهر وقد ترك تعليمَ علوم المادة (الحية وغير الحية) من نبع الله الإلهي كتابه المحكم، فقد أهدر زعامته للدين بمثابة أن الآيات « العلمية » في القرآن هي أكثر من ستة آلاف آية أو هي كل آي القرآن بمثابة أن القرآن قد نزل بكل العلوم ما عدا علم الصناعة!!

إذاً، فقد ترك الأزهر « الميدان الحقيقي » لإثبات الوجود الإلهي والقدرة الإلهية والملك والملكوت الإلهيان. وعلوم الآفاق والإنسان وكل ما خلق، ميداناً خاليا خاوياً فارغاً، يمرح فيه الماديون والملحدون بكل الضلال والكفر وإنكار السماوات وإنكار الخلق وإنكار الخالق، والادعاء بوجود آلاف وملايين مثل كوكب الأرض وأن بها خلقاً أكثر تقدماً من أهل الأرض.. تركوا الميدان للذين يقولون ان الكون أرض وفضاء أو أثير وجد صدفه.. وأن الإنسان ابن التفاعل الكيميائي.. تركوا الميدان إذاً لمقولات الكفر والضلال وزعموا أن كل ذلك حقائق علمية ثابتة.. هل هناك ضلال أكثر من ذلك؟ وأليس ذلك هو الكفر بعينه؟

إذا فليس هناك خالق ولا خلق يا أزهرنا؟!

إذاً فمن أين جاءت الرسالات ومن الذي بعث الرسل يا أزهرنا؟

ألهذا الحد يكون شراء الدنيا بالآخرة؟! أم هو الجهل والجهالة معاً؟

قال العلي الكبير

﴿ إنَّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * أولئك الذين إشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾

[البقرة: ١٧٤، ١٧٥].

ولنذكر الجميع بقوله تعالى:

﴿ قد أفلح من تزكَّى * وذكر اسم ربه فصلى ﴾ [الأعلى:].

خامساً

إنَّ « عالمية » الأزهر هو الوضع الفعال لهذه الجامعة الإسلامية الأعرق والأعظم والأشرف على مستوى العالمين.

وعالمية الأزهر لن تكون ولا تدوم على وضعه الحالي؛ ذلك بأن الأزهر هو « زعيم » الدين الإسلامي[1].. وهذه الزعامة لا تكون حقيقة شكلاً ومضمونًا إلا إذا كانت « شاملة » لكل القرآن العظيم الذي يشمل ٦٢٣٦ آية منها علم الشريعة (عبادات وأحكام) ٣٦٨ آية فقط ثم علم النحو والصرف والبلاغة وهو أساس تركيب ومعاني كلمات القرآن، ثم علوم المادة الحية كلها وعلوم المادة الميتة (غير الحية) كلها وعلم الأخلاق والعلوم النفسية إلى كل العلوم التي تحكم وتتصل بالخلق لكل شيء في الآفاق وفي كل ما خلق الله في الأرض والسماوات السبع.

وكل ذلك أداته أو دليله « المادة » التي خلقها الله

ومن ثم؛ فلا بد من « علماء » يستنبطون العلوم التي خلقت هذه المادة والتي جعلتها على حالين والتي أحيت بعضها وحركت بعضها وجمدت بعضها.. إلخ وما الذي كان بداية أمرها؟.. وكيف تطور وكيف تحول وكيف سواه رب العالمين في

(١) الزعيم يعني الضامن والكفيل.

أحقاب مليارات من السنين.. إلخ كل « العلوم » بغير حصر ولا عد هي علوم القرآن.. وباتالي يجب أن يضم الأزهر كل علماء « المادة » بشرط إستنباط علومها من القرآن العظيم[1].

ولأن « كل » علماء الأزهر يكونون علماء في كل فروع العلم المستنبط من القرآن المسجل وجوده في الكون العظيم.

فإنَّ جماعة كبار العلماء يجب أن تضم كل هؤلاء العلماء الكبار منهم على مستوى العالم كله طالما أن شرطهم الإسلام واستنباط العلم من القرآن.

فهذه الهيئة

هي التي نرى أن تنتخب من بينها أعظمهم شأنًا يكون « شيخًا » للأزهر فيكون أكبر هؤلاء العلماء ومن ثم يكون « الإمام الأكبر ».

ويكون الأزهر بذلك هو أعظم جامعة إسلامية على المستوى العالمي والإسلامي.. له إحترامه وقداسته.. فيكون بحق « الأزهر الشريف ».

سـادسـاً

إن حقيقة أن يكون التعليم من بعد التزكية في الأزهر هو تعليم « كل » العلوم من القرآن العظيم؛ أمر يستلزم حتمًا وبالضرورة أن يقوم الأزهر بوضع مناهج التعليم على الأساس سالف البيان لكل الجامعات والمعاهد التعليمية في مصر والعالم الإسلامي كله (طبعًا بإختياره وطبقًا للمعاهدات والمواثيق والجامعة العربية.. إلخ)، فيحقق بذلك « وحدة الموقف الفكري » لدى كل الشعوب الإسلامية، ولدى الدولة الواحدة أيضًا.. فلا نجد فيها إرساليات غير إسلامية تبث علوم الملحدين في أبنائنا، ولا نجد فيها مدارس

---

[1] والمؤلف هو واحد من الذين قالوا هذا منذ سنة ١٩٨٣ حين أصدر كتابه الاول: « الله والكون » على هذا الأساس العلمي ثم تلاه ببقية كتبه عن علوم الطبيعة وعلوم الحياة.

وجامعات تعطي الدنيا ملفوفة في الحرير كالسم الزعاف يطعن في رسولنا ورسالة رب العالمين.

فلا بد لهيئة كبار العلماء أن تقوم بأخص وأهم واجباتها ألا وهو وضع مناهج التعليم لكل المدارس والجامعات وإلغاء كل الفوارق التعليمية وكل الاختلافات في المناهج والسبل والطرق والمفاهيم وتدريس كل شيء على أساس « الحق الإلهي ».

ولأن « جماعة كبار العلماء » تكون من جميع علماء الإسلام والمسلمين بغض النظر عن الجنسية – فإن ذلك سيكون الدعامة الحقيقية لعالمية المناهج كما عالمية الهيئة التي وضعت المناهج وعالمية الأزهر وإمام الأزهر.

ومن ثم

فلن نجد بعض « الجهلة » أو « العملاء » يتكلمون « للطلبة » بما يُريدون من أفكار جاهلية أو مدسوسة لإيجاد الفتنة وقيعة بين المسلمين.. مثل هذا الذي ظل يدرس لتلاميذه بضرورة مساواة الأنثى بالذكر في الميراث على خلاف الآيات المحكمة.. مدعيًا أنه وزوجه متساويان في كل شيء؟! فكيف يكون الفرق.. بينهما.. ثم أنكر العرش وأنكر جند الله.. وغير ذلك من التخاريف أو الأقوال التي تلقي للشباب الغض لإدخال النجس والدنس في قلوبهم.

أن هؤلاء الذين يدعون « حقائق علمية » ضد الحق في كتاب الله في كل ما خلق الله.. السموات والأرض وما بينهما.. وكل ما خلق الله من شيء.. متبعين الماديين والملحدين في أفكارهم؟!

إذًا

لن يكون لضال أو مخرف أو جاهل أو عميل أي دور مع طلبة الأزهر في كل أرض الله.. ولا مع أي طالب في كل الجامعات والمعاهد على طول الأرض وعرضها.

ذلك بأن القاعدة لكل حق هي الدليل القرآني والسنة الشريفة المتفق عليها بحق

التفسير وحقيقة التأويل طبقًا لقواعد الله وقواعد الأصول وفقه الأصول ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا كهانة ولا تسلط على الفكر الصحيح لكتاب الله طالما انه بالدليل الشرعي.

وقول ليس له دليل قول لا نعلمه ولا نقبله، ويحاسب من يفوه به حسابًا عسيرًا:

﴿ قال أمَّا من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرَد إلى ربِّه فيعذبه عذابًا نكرًا ﴾

[الكهف: ٨٧].

سابعاً

إن « مناهج » التعليم العلمية الحقيقية المستنبطة من الكتاب المسجلة بشهادة الكون هي الطريق الصحيح والفعال لتخريج دعاة صالحين عالمين يستطيعون أن يخاطبوا الناس بعلم الله في كل شيء.

وإذا كان هذا الأمر مرهقًا وصعبًا، فإن التخصص في فروع العلم مع الإلمام بالمبادئ والحقائق الكبرى سيجعل من الدعاة الإسلاميين خير دعاة للإسلام وخير من يدعون باسم رسول الرحمن.. فإن الذي يتبوأ مقعد صدق في كافة بلاد العالم سيما البلاد المتقدمة صناعيًا والتي تدعي أن هذا هو « العلم » وغيره وارد إليها في الطريق من خلال المختبرات والمعامل والعلماء والتجارب.. هؤلاء الدعاة لن يكونوا في مركز « الاحترام » الواجب لهم أمام الناس إلا أن يكونوا علميين وإلا أن يكونوا على « يقين » من حقيقة ما يدعون إليه.. وهذا لا يتحقق إلا أن يكون الداعية ملم إلمامًا كبيرًا وشاملاً وحافظًا لكل الآيات العلمية في الموضوع الذي يتكلم فيه ويدعو الناس إلى الإيمان بالله على بصيرته.

ومن ثم يكون الداعية عالمي القول عالمي الدعوة، لأن علم الخلق مثلاً كما هو في بلاد العرب هو نفسه في بلاد الملحدين هو نفسه في بلاد المشركين.

قال العلي الكبير:

﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن إتبعني ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الفصل العاشر

التذكر والتفكر

التذكر هو استحضار الماضي إلى الحاضر

والتفكر هو استخدام الفؤاد بما فيه من لطائف إلهية في « عقل » الأشياء التي رأتها العيون وسمعتها الآذان و« فقهها » و« إستنباط » حقيقتها العلمية من أولها حتى آخرها وظاهرها مع باطنها.

والله سبحانه وتعالى أمرنا بالتذكر في أهم الحقائق العلمية للمادة

﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما
في ستة أيام ثم استوى على العرش، ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع؛ أفلا تتذكرون ﴾ [السجدة: ٤]

والله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكر في كل القرآن

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم
ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل: ٤٤]

ثم وصف القرآن كله لأنه تسجيل ما حدث بانه « ذكر » في قوله تعالى:

﴿ إنْ هو إلا ذكرٌ للعالمين ﴾ [التكوير: ٢٧]

ووصف الرسول بأنه « مذكِّر » في قوله تعالى:

﴿ فذكِّر إنما أنت مذكر ﴾ [الغاشية: ٢١]

ولأن القرآن العظيم كتاب العلم كله من عند خالق العلم وكل شيء.

ولأنه ليس كل إنسان بقادر على ذلك العلم.

فإن « العلماء » هم المعنيون بالتذكر والتفكر والبيان للناس، فإن شغلوا أنفسهم بقلة قليلة من الكتاب، وأعرضوا عن « علم الله في خلقه » فإنهم يكونوا من القاعدين.

فإن ذهب بعضهم إلى « تطويع » المعاني القرآنية ليواطؤ ما يقول الكفرة.. فقد أخطأوا خطأ عظيماً في حق الله وفي حق الناس وفي حق أنفسهم والله عليم بالجاهلين والنوايا.

فإن ذهب بعضهم إلى كتمان ما بينه الله في كتابه، فقد إستحق أعظم الاحتقار من الله سبحانه ومن العالمين.

أما إذا ذُكِّروا بآيات الله فأعرضوا، فإن ذلك يصفه ربنا بالإجرام الذي يتطلب الإنتقام الإلهي منه.

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، إنَّا من المجرمين منتقمون ﴾

[السجدة: ٢٢]

إذاً
فلنتذكَّر ولنتفكَّر

١ – فعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ إن الله إصطفى آدم... على العالمين ﴾

[آل عمران]

ومعنى « إصطفى » أي إختار، ومقتضى الاختيار بالضرورة وجود « المتعدد »؛ فإذا قرأت قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة.. ﴾ [النساء: ١]

وأجمع المفسرون على أن « نفس واحدة » هو آدم.

فإننا نجد أنفسنا أمام تضارب وتصادم عقلي في فهم الآية الأولى لأن الاختيار من المتعدد يتناقض مع بداية أحدية خلق الناس في الآية الثانية!!

ذلك بأن هذا يفرض السؤال: هل كان آدم ومعه أناس آخرين؟

وأين كانوا ومتى وكيف ولماذا؟

٢ – وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ وعَلَّم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.. ﴾ [البقرة: ٣٣] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [كان آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق]؛ ثم نقرأ قوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكوراً ﴾ [الإنسان: ١] و« هل أتى » سؤال تقريري أي « قد أتى »[١] طبقًا لصحيح قواعد النحو والتفسير، كما أن كلمة « الإنسان » هنا تعني الجمع وليس المفرد على خلاف بين المفسرين.

وعندئذ نجد التناقض على أشده بين آدم في أعظم صورة وعلم كامل بالأسماء[٢] حتى سجد له الملائكة طائعين.. وبين « الإنسان » في أدنى الضعف والتفاهة والضياع حتى أنه لم يكن – مع ما كان على الأرض من شيء – ذا شأن يُذكَر.. مع أنه ما كان على الأرض إلا النبات والحيوان!! أي كان الإنسان شيئًا لا يذكر بجانب الحيوان؟! أي كان الإنسان أقل شأنًا من الحيوان.. ولا ذكر له في أي شيء.. كان مخلوقًا ضعيفا مغلوبًا.

٣ – وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافين إلاَّ الذين آمنوا.. ﴾ [التين].

والآية تضم حالين لذات الإنسان فهو أولاً « في أحسن تقويم » وهو ثانيًا « رددناه أسفل سافلين » وبينهما كلمة « ثم » التي تعني حدث سبق وإنتهى وجاء بعد فترة زمنية حدث آخر لم ينته بعد هو « رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا » والهاء في « رددناه » تعود على الإنسان في أحسن تقويم.

فكيف يتأتى ذلك والقول الشائع بين الناس أن أول الخلق آدم وحواء من

(١) ابن خالويه في كتابه: « إعراب ثلاثين سورة »، وكذلك الطبري وغيره.

(٢) الأسماء هي كل ما يصنعه الإنسان من شيء حتى الجفنة والمحلب (عن ابن عباس).

ضلعه ﴿ وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً.. ﴾ [النساء : ١] وأننا جميعًا ذرية آدم نسلاً من نسل.

مع أن التركيب اللفظي وطبقًا للقواعد في سورة التين يقول بأن الإنسان كان في أحسن تقويم وإنتهى ذلك الأمر وبعد مدة زمنية أعاد الله ذات الإنسان في « أسفل سافين إلا الذين آمنوا.. »

فكيف يتأتى؟ هل نتذكر؟ هل نتفكر؟

٤ – وعندما نقرأ قول الله تعالى :

﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى.. ﴾ [الأعراف : ١٧٢][١]، ويُذكِّرنا ربنا بهذا الموقف بما سيكون عليه موقفنا يوم القيامة في قوله تعالى :

﴿ وعرضوا على ربك صفًّا، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة.. ﴾ [الكهف : ٤٨] أي أن « الناس جميعًا » سبق أن وقفوا صفًّا – أي صفوفًا كثيرة – أمام الخالق العظيم.. وهذا يتناقض مع ما هو شائع بين الناس أنه لا حياة قبل هذه الحياة وأنه لم يحدث أن وقف الناس جميعًا أو فرادى لأخذ الموثق عليهم؟! وأن آية النساء (١) تقرر خلق الناس في هذه الحياة الدنيا نسلاً من نسل كما أن كل إنسان يموت لأجله : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ [السجدة] وقوله تعالى : ﴿ ولكل أجل كتاب ﴾.

فكيف يتوافق الحكمان.. حكم الصف والموثق.. وحكم عدمه؟

---

(١) قال الحسن البصري : إنها كانت حياة كاملة نسلاً من نسل. ولسنا مع الذين يقولون إنه إخراج الذر من صلب آدم فهذا لا صلة له بكلمات الآية اي أنه تفسير على غير أساس من كلمات الآية كما أنه يتعارض مع آيات كثيرة ومع الحفريات البشرية.

٥ – وعندما تقرأ قوله تعالى:

﴿ يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم الذي خلقك فسوَّاك فعدَّلك * في أي صورة ما شاء ركَّبك ﴾ [الإنفطار: ٦، ٧][١].

ومعنى « عدَّلك » أي جعل جذعك منتصباً؛ وهذا يعني طبقاً للقاعدة الأصولية – قاعدة مفهوم المخالفة – أن الإنسان كان في مرحلة سابقة من مراحل تسويته أو أطوار تسويته أنه كان يمشي على يديه مع رجليه!! وهذا أيضاً هو الثابت في علوم الجيولوجيا والتاريخ الطبيعي ويتفق مع قوله تعالى: ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ [الواقعة: ٦٢].

فكيف يكون ذلك متفقاً مع خلق آدم عليه السلام في أعظم خلق وصورة!!

٦ – وعندما يقول ربنا آمراً ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق.. ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. و« في » حرف وعاء؛ ويجد الماديون حفريات بشرية ضاربة في أعماق التاريخ في باطن الحجر.. ملايين من السنين من قبل الآن؟!

فكيف يتفق ذلك مع خلق آدم أول البشر منذ آلاف فقط من السنين!!

وكيف يتفق تطور الخلق الثابت في الحفريات مع خلق آدم دفعة واحدة في أبهى صورة!!

وعلم الجيولوجيا علم مادي. والأمر به أمر إلهي؟!

---

(١) يقرأ بعض الناس كلمة « عَدَلَك » بفتح الدال وهذا يعني ساواك بغيرك. وهو لا يتفق مع معنى الآية التي تتكلم عن تسوية الإنسان. أما « عدَّلك » بوضع شدة وفتحة على الدال فتفيد إنتصاب جذع الإنسان وهذا المعنى هو الذي يتفق مع معنى كلمات الآية كما يتفق مع ما هو موجود في حفريات البشر « حكاية البشر علمياً » صلاح الدين أبو العنين.

٧ – وإذا كان كل ما تقدم له شواهد مادية؛ فإن الله سبحانه يطلب من الناس أن تتذكر أمرًا آخر في غاية الخطورة، ألا وهو ما كان عند خلق السماوات والأرض وليس له شاهد مادي في قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون﴾ [السجدة: ٣].

ومن ثم يطلب إلى الناس «التفكر» في خلق السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض..﴾ [آل عمران].

ويقول ابن عربي – يرحمه الله – في فتوحاته المكية أن الله خلق الأنفس البشرية وعرشه سبحانه على الماء..؟!! أي قبل خلق السماوات والأرض؟!!

ولأن «الخلق» هو موضوع التذكر والتفكر بمثابة أنه أخطر وأعمق وأهم موضوع وأقوى دليل وأصدق برهان على صدق الرسالات الإلهية، فإنه سبحانه يبين لنا أن ﴿خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ [الرحمن: ٣ – ٧]. أي خلق الإنسان وعلمه البيان قبل أن يأمر الشمس والقمر بالجري بالحسابات الدقيقة الفلكية المذهلة وقبل رفع السماء!! ويتفق ذلك تمامًا مع فواتيح سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش، وسخَّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ [الرعد: ٢].

ومعنى ذلك الترتيب القرآني العظيم لواقعات الحياة مع الإنسان أنه خلق الإنسان وعلمه البيان قبل رفع السماء وقبل تسخير الشمس والقمر؟!!

ولأن القرآن ليس فيه تعارض ولا تناقض

فإن الله أمرنا بالتذكر والتفكر

وأن التذكر عمل يستلزم الكثير من الصفاء النفسي والوجداني والإحاطة العلمية مع الهداية الربانية طبقًا لما ورد في قوله تعالى: ﴿فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكَّر من يخشى﴾ [الأعلى: ٩، ١٠]. والخشية لا تكون إلا مع اليقين بالعلم والحق وليس بالأفكار العلمية الضالة.. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨].

ومن ثم

فإذا كان التذكر يدعو إلى التفكر، فإنما ذلك (أي التفكر) مرحلة تالية بعد مرحلة التزكي والتعلم والتوغل في العلم، فليس الأمر مدفوعابالقراءة والسطحية ولا حتى بقراءة عشرات الكتب بطريقة غير منهجية!!

ذلك بأن التذكر في ذاته علوم كثيرة وأدوات كثيرة وأبحاث كثيرة ومضنية وشاقة.. وتاريخ الإنسان في « النشأة الأولى » هو تاريخه مع « الطبيعة » أي مع « تسوية المادة بإطلاق » على مدار ملايين كثيرة من السنين طوال حقب الحياة الحديث.

كما أن تعليم الإنسان البيان إنما يهدي إليه آثار مادية كثيرة في ذات الإنسان وفيما يفعل هذا الإنسان في حياته الخاصة ومع البيئة التي يعيشها سهلة تارة وتارات في منتهى الصعوبة والشقاء!!

تاريخ طويل... طويل... مليئ بالأحداث الجسام في السماء وفي الأرض.. ومعارك الإنسان مع البيئة وكل ما في تلك البيئة!! يصور الإنسان منذ بدايته مرحلة.. مرحلة.. وحتى الآن.

ولكنه « التاريخ »

الذي بدونه يكون الإنسان « فارغًا » مقطوع الصلة. بحقيقته.. وأصل نشأته.. مقطوع الصلة بقدرة الخالق العظيم.

ومن هنا

أمرنا ربنا العظيم بالتذكر والتفكر[1].

وقال تعالى في هؤلاء الذين إنسلخوا من آيات الله:

﴿ ... فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

١ - يقول الماديون إن الكون يتكون من المجرات النجمية بها الكواكب والأثير.. ولا يوجد ما يسمى « السماء » إلا في الكتب الدينية!!

ويرد عليهم رب العالمين بآية كونية مرئية تخرقهم من آن لآخر فيقول سبحانه مبينًا ﴿ وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم ﴾ [الطور: ٤٤]. فالناس ترى السحاب فإذا كان متراكمًا بعضه على بعض زاد لونه قتامة.. أما الصاعقة فهي كسفا أي قطعًا من السماء تسقط فتظهر عروق ملتوية متشعبة من النار.. فأين هو السحاب.. الذي إذا تراكم زاد ثقله من كثرة ما به من ماء وصار مزنًا.. فيسقط منه سيول الماء!!

هل هذا عمي يصيب الماديين.. أم هو الكذب والتخرص على الله والناس؟!

٢ - ويسألهم ربنا

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ﴾ [ق: ٦].

ولكن الماديون ينكرون وجود السماء من البداية.. فإذا نظر المؤمنون وجدوا أنها بنيت من الذرات المتأينة فتجاذبت بقوة.. فتماسكت كأقوى من جدار من الصلب.. وقد ثبت ذلك في رحلات الفضاء فإن الولوج إلى الآفاق للوصول إلى القمر إضطر

---

[1] « رحلة في اعماق الكون » و« القمر في الطبيعة » صلاح الدين أبو العنين. عن حقيقة خلق السماوات والأرض والشمس والقمر و« حكاية البشر علميًا » صلاح الدين أبو العنين عن تاريخ الإنسان منذ ملايين السنين حتى قيام الساعة!! علميًا.

الماديين إلى البحث عن منافذ في هذا الحائط الفولاذي والذي يسميه ربنا بأبواب السماء في قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾.

وقد ثبت هذا الوصف تماماً على لسان رائد الفضاء السوفيتي في رحلة فسخود – ٢ سنة ١٩٨٥[1].. ولكنهم ينكرون وجود السماء ووجود أبواب السماء ويقولون.. إنه فضاء.. وأثير.. وتركيز في الذرات المتباينة!!

٣ – ويقول رب العالمين ﴿أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨].

والماديون يقولون إن رفع أي شيء إما أن يكون على أعمدة وإما أن يكون برافعة من فوقه ترفعه إلى « فوق ».

ويقول لهم رب العالمين ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها..﴾ [لقمان: ١٠] ويقول سبحانه ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها..﴾ [الرعد: ٢].

فهو سبحانه يبين واقعتين الأولى أنه « خلق » السماوات بغير عمد والثانية أنه لذلك فهو « رفع » السماوات بغير عمد. وذلك حتى يمتنع على المفسرين أن يدعوا « وجود » عمد غير مرئية.. ذلك بأنها « خلقت » أصلاً بغير عمد.. ومن ثم يكون السؤال في آية الغاشية عن « كيف الرفع ».

ولأنه لا يوجد للسماوات عمد، فهي إذاً رفعت من فوقها.. وليس فوقها إلا الله ومن ثم كان قوله سبحانه: ﴿الله الذي رفع السماوات﴾.

وهنا يسقط في أيدي الماديين ولكنهم دائماً يتخرصون!!

---

(١) رسالة اليونسكو العدد رقم: ٤٩.

٤ – ويقول رب العالمين

﴿ أفلا ينظرون . . . وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ [الغاشية : ١٩] .

ونصبت أي إستقامت . . وكانت من قبل في باطن القشرة الأرضية سواء في اليابس أو تحت الماء . . كما أثبت « ابن سينا » في كتابه البرهان إذ وجد في بعض الجبال عوالق بحرية تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها ﴾ [فصلت : ١٠] وفي حرف وعاء سواء في اليابس أو تحت الماء .

ونصب الجبال قد تم في مرحلة المد الثاني للأرض في حقب الحياة الحديث في عصر الميوسين إذ زادت غليان المواد في باطن الأرض وكثرت بالتالي أبخرتها بالأمر الإلهي وكان لا بد أن « تنفجر » الأرض لولا أن الله سبحانه وتعالى يمسكها ومن ثم برزت قطع من الأرض نصبها الله سبحانه جبالاً حيث يعلم وهو العليم بخلقه ليثبت بها الأرض فلا تضطرب في ذاتها وبمن عليها .

والإمساك بالأرض هو الآية أي القوة الإلهية التي جعلت بخار باطن الأرض لا يستطيع أن يفجرها ويتوقف أثره على إبراز الجبال . والله يرينا حتى اليوم خسفاً لجزء من الأرض وإبرازاً لجزء آخر . . .

والماديون يفكرون ولا يفسرون . . وإنما يقولون أفكار . . والمقهورون يقولون إنها حقائق علمية ؟ ! !

هذا

وفيما سبق « قصص » كثيرة في خلق الإنسان . . والنبات . . والحيوان . . للذين تزكوا وتعلموا .

الفصل الحادي عشر

الثقافة والإعلام

قال العلي الكبير:

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد؛ كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

أي لا تقل شيئًا ليس لك به علم، والكلمة فيها نوع من الزجر عن التعرض لما ليس للإنسان به علم. فالعلم يقوله العالم به، لأن «القول» من الذي لا يعلم يسمعه ويراه الناس فيتأثروا به، فإن كان خطأ أصابهم الخطأ؛ وأما إن كان القول ممن يعلم صحيحًا، فإن قوله يكون سديداً.

والثقافة في معناها

يقول مختار الصحاح، [ثقف الرجل أي صار حاذقا خفيفًا] وهذا الأمر لا يتحقق إلا على أحد وجهين: الأول هو التعمق الكبير في العلم وهضمه تمامًا؛ فإذا تكلم فإنه يتكلم بحذق كامل وسهولة تلقائية؛ والوجه الثاني هو العلم بالمبادئ العامة للعلوم والحقوق. فإنه إذا سئل استطاع القول صحيحًا وخفيفًا.

والثقافة العامة

هي تعبير عن هذا الوجه الثاني للإلمام بالعلوم كافة، وأفضل الثقافة هي العلم بالحلال والحرام والحقائق كافة من القرآن العظيم.

ومحيط هذه الثقافة بوجهيها

هو «الحلال» فإذا ما خرجت من الحلال فقد دخلت في محيط «الحرام» وصرت معتديا على كل من يسمعك أو يراك.

ولأن «الحرية» ميدانها أيضًا هو الحلال.. فقد لزم من يتكلم أو يعمل في دائرة الثقافة عامة وخاصة أن يكون قوله أو فعله في دائرة الحلال.

وهذا التحديد .. تحديد قاطع ونهائي وصارم

ومن ثم

فإن الادعاء بأن الحرية تبيح لك التعبير عن ر أيك مهما كان هذا الرأي مخالفًا للحلال، يكون أدعاءً باطلاً لأنه مخالف للقاعدة الآمرة .. التي لا تُبيح قول أو فعل الحرام. ذلك بأن إباحة «التعبير» باللسان أو الفعل على أي وجه سوف يستطيل مع الزمن وتطور المفاهيم وخلطها إلى التعبير باليد أيضًا .. حلالاً وحرامًا .. وهنا تقع أشد الجنايات وأخطرها.

وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الناس مهما كانت درجات علمهم دليل ذلك، أن الدول الكبرى المتقدمة جداً صناعيًا .. التي تبيح حرية التعبير بلا حدود .. قد أدى هذا السبيل إلى إختلاط الحرام بالحلال بل وإلى إعتبار الحرام حرية شخصية .. حتى أعمق ما يكون في العلاقات البشرية .. التي تطورت إلى « حرية الجسد » فأباحت الشذوذ الجنسي وأباحت قتل الأجنة تحت اسم الإجهاض .. ومن ثم فإن العدوان باليد على من يخالف الرأي قد وقع أيضًا على كثير من الشخصيات ومنهم رؤساء دول كبرى .. وقتل الأطفال والإتجار بأعضاء أجسادهم والاتجار في النساء وإنشاء مستعمرات العراة .. إلخ إلخ.

ومن هنا

ندرك أن « الحرية » إذا التزم الناس فيها بدائرة الحلال .. كان الناس الشذاب قلة قليلة بل ونادرة .. وصار المجتمع على موقف فكري واحد وطهر إجتماعي ورؤية ثقافية صحيحة وطاهرة .. الأمر الذي يشيع السلام والرحمة والمودة والإيثار والمروءة والقيم الفاضلة والصدق في القول والفعل.

فلا نسمع من يقول للناس كلامًا بغير دليل ثابت صحيح، ولا نسمع من يتاجر في كلام الله .. صمتًا وكتمًا أو ترديدًا لعبارات عامة بغير دليل ولا سند .. مرتكزًا على منصبه أو على كبير يؤيده.

ولا نسمع ولا نرى تدني أو إسفاف تحت عناوين باطلة مثل التعبير الفني والرؤية الجمالية والرقصات التعبيرية والتابلوهات الغنائية إلى آخر هذه التعبيرات سواء في السينما.. والمسرح.. والرسم.. والنحت.. والكتابة والصور صامتة وغير صامتة ساكنة ومتحركة.

ذلك بأن «الثقافة ومعها الإعلام»

يجب أن يكو خطابهما شارحًا للحقائق على أساس أعماقها العلمية والإنسانية بأسلوب ميسر ومبسط وبكلمات مفهومة لجميع الناس ويشترط في هذا الخطاب أن يكو مهذبًا مؤدبًا.. ليس فيه إسفاف ولا تدني بدعوى «الواقعية»؟! فالله سبحانه وتعالى الذي «رد» الإنسان أسفل سافلين، قد خاطبهم بالأسلوب الإلهي السامق الأدب الرفيع النهج.. الشارح للوقائع مهما كانت هابطة بالأسلوب النقي العالي التعبير.. وفي سورة يوسف منهج كامل «لكيف» الحديث والشرح والبيان واستخلاص العبر.

وأمَّا إذا اتخذ المنهج الثقافي والإعلامي

من «أجساد النساء» لحمته وسداه، فقد هبط إلى قاع الفحش والرذيلة وتمرغ في وحلها.. الأمر الذي أدَّى إلى «عري» النساء في الطرقات.. فإذا تحالف وتعاضد ذلك مع «فُحش» القول وقبيح السلوك.. فإنه يؤدي بالمجتمع إلى الجريمة لا مناص.

والثقافة والإعلام

يدخلان البيوت وحجرات النوم علانية وسرًا.. ومن ثم وجب أن يكون على أعلى مستوى علمي وأدبي في يسر وسهولة مع جمال العرض والصورة؛ لأن الثقافة العامة والإعلام هما رسالة التعليم الميسر الذي يبث ويكتب ويعبر عن كل الحقائق والمفاهيم والقيم التي تؤدي بالناس إلى اليقين بالله تبارك وتعالى فتنور الوجدان الإنساني وتضع فيه الحق وتطرد منه الباطل فلا تتركه في أي وقت إلا على «الرشد».. فتكون له

نعم التزكية ونعم الهادي ونعم المعين:

ليس قطعًا وتضييعًا للوقت.. تسلية يعني.

ليس متعة للعين في حرام.

ليس إرضاء للسمع بنغم وكلم معسول.

ليس صوراً جسدية وجنسية إثارة للغرائز.. إلخ

فالثقافة والإعلام هي الرسالة التي تركز على طرد غيابات الغواية وإحلال الحق والطهر والنور.. وهذا يستلزم القول الحق والصدق والجاد.. وليس معنى هذا طرد الفكاهة وحلو النغم من أساليب الثقافة والإعلام.. كلا إن الكلام الإلهي قد أحاطه الله العظيم بنغم عظيم يخلد في نفس كل من يرتله.

فالثقافة والإعلام

يجب أن يتخذا الجمال الإلهي في خلقه.. في مناظر السماوات والأرض.. في عذوبة النغم واللحن.. لشعر يهدي إلى التي هي أقوم.. لكلم يخاطب النفوس البشرية في أعماقها بما يهزها في حنايا الحب الإلهي.. والحب المشروع لكل ما يمكن أن تتناوله معاني هذه الكلمات.. شعراً ونثراً وصورة وحكاية.. فالنغم والأدب منبعهما قيم الحق والجمال والجلال في القرآن الكريم.

إن إشاعة «الجمال» هو رسالة لخلق الذوق الجمالي وإشاعته في كل مكان بين الناس فتسمو به نفوسهم وتقر به عيونهم.

والموسيقى هي أعذب كلمة، فهي لغة الكون الإلهي.. إذا استشعر الموسيقار ينابيعها.. إرتفع فوق كل لغة أخرى وسيطر بها على مشاعر الناس وغمر بها قلوبهم.

وكون الله ليس فيه تدني ولا إبتذال.. فذلك سفال الناس.. فلنكن إذاً من الصالحين الطيبين.

ذلك بأن الهدف والغاية من الثقافة والإعلام هي خلق البناء البشري الصالح القوي الفاضل حتى يكون لبنة قوية في بناء وطنه.

ومن هنا

فإذا قال أحد أن الثقافة لا صلة لها بالدين.. علمنا مدى الخبل العقلي الذي يعتريه[1].

---

(١) الخبل العقلي ناتج عن قسطٍ من الجهل وقسطٍ من الغفلة وقسطٍ من القهر، الثلاثة معًا تتغشى لطيفة الفؤاد في القلب فتغمره بالضلال فالخطأ.

الفصل الثاني عشر

التكنولوجيا والصناعة

إن قصة خلق آدم من تراب وأمر الملائكة بالسجود له، قد وردت عدة مرات في القرآن الكريم.

فإذا تيقنا من الظروف التي تزامنت مع واقعة السجود، وجدنا أنها كانت مع «إعتراف» الملائكة بأنهم لا «يعلمون» الأسماء وأن آدم قد أنبأهم ﴿بأسماء هؤلاء﴾ [البقرة: ٣١]. بعد أن ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣٠].

و«الأسماء» هي كل ما خلقه الله على أيدي الناس منذ آدم وحتى قيام الساعة.. عن ابن عباس: حتى القصعة والقصيعة[1].

فالله سبحانه يقول لنوح عليه السلام ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ [هود: ٣٧]. وهكذا كل ما يصنعه الإنسان هو بوحي من الله وعلم منه إلى صدر آدم ومن آدم لكل ذريته.

ومن هنا فإن «الصناعة» مستجابة لكل إنسان يسعى في شأنها.. فليست قاصرة على ناس دون آخرين.. فكما كانت لدى الحضارات القديمة المصرية والصينية والهندية والأشورية.. صارت الآن لدى الأوروبين والأمريكيين واليابانيين وغيرهم.

فالذي يسعى في الصناعة.. فإن الله سبحانه وتعالى طبقًا لسنته في خلق ادم وبنيه واستخلافهم في الأرض ليعمروها، يوحي إليهم بما يصنعون.. حتى الفلك التي تصعد في السماوات.

فالإنسان (ذرية آدم) يفكر كيف يشق الأرض ليضع الحب والبذور فيوحي إليه ربنا يصنع الفأس والمحراث، وهو يفكر ليقطع الأشياء فيوحي إليه بصنع السكين، وهو

---

(١) شرح كامل للأسماء بتوسع في كتاب: «الله والكون» صلاح الدين أبو العنين.

يفكر ليتقي الغرق في الطوفان فيوحي إليه بصنع الفلك، وهو يفكر أن يطير في « الجو » كالطيور فيوحي إليه بصنع الطائرة.. وهو يفكر كيف يقتل العدو من على بعد كبير فيوحي إليه بصنع الطائرة الحربية ثم يصنع الصاروخ.. وهو يفكر ليصعد إلى القمر فيوحي إليه بصنع مراكب الفضاء.. وهو.. وهو.

فهذا « التفكر » في صنع « الأسماء » التي ليس لها وجود في « الواقع ».. لتقوم بمهمة جديدة ليست معروفة من قبل، هو التكنولوجيا.

ولذلك فقد قالوا إن التكنولوجيا هي التطبيق العملي للخيال الفكري العلمي.. صناعة مادية.. أو مادة غير حية.. فكرة علمية أو نظرية.. إنسانية أو طبيعية.

١ - فأساس التكنولوجيا هو « الخيال الفكري العلمي ».

٢ - وإيجاد التكنولوجيا هو « التطبيق الواقعي لهذا الخيال العلمي الفكري ».

والخيال الفكري العلمي

يتطلب وجود « حرية حقيقية » يشعر فيها الإنسان بكامل إنسانيته وكامل قدرته بكل أمنه وأمانة، وأن أحداً لا يستطيع أن يظلمه أي لا يعتدي على حقوقه ولا يعتدي على جسده ونفسه.. ولا يعتدي على عمله ولا على علمه.

هذه الحرية الحقيقية هي التي تدفع الإنسان إلى التفكّر في كل شيء في الوجود الكوني وفي المادة بإطلاق وفي الحياة وفيما بعد الحياة.. هي « الوقود والطاقة » التي تحرك في الإنسان كل ملكات ومواهب الله التي خلقها فيه.. هي تحرك النفس الإنسانية بنورها إلى « عمل » جديد يرقى به وبإنسانية قومه.. هي التي تدفعه إلى « عمل » ما ليس له مثيل من قبل ليزيد من تقدم الناس وقوة وطنه.. هي أساس وحقيقة الوجود الخلاَّق في الإنسان.

فإذا تذكّرنا آدم

وجدنا أنه إختار « أن يحمل الأمانة » إختار أن يكون حرًا فجعله الله سبحانه « خليفة » في الأرض.. ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾.. إذًا فإن آدم كان حرًا ومتعلمًا.

ولأن « علم » آدم كان في صناعة الأسماء كلها.. أدوات التقدم البشري والإنساني وقوة الإنسان في قدرة تعمير الأرض والسير فيها حرًا آمنا قويًا قادرًا على أعدائه.

فإن الملائكة قد سجدوا لآدم

لم يكن سجود لشخص آدم

ولكن كان سجود لقدرة الله في علم الصناعة بصدر آدم

نعم كان سجود للقوة التي آتاها الله العظيم لآدم

ولأن هذا الأمر البالغ العظمة والأهمية هو أساس حياة ذرية آدم في الأرض.

فإن الله العظيم

أمر المؤمنين ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ [الأنفال: ٦٠]

فإن لم يفعل المؤمنون بهذا الأمر الإلهي، فقد فقدوا حريتهم وكيانهم، ولمقت الله أكبر.

أما التطبيق الواقعي للخيال العلمي

فإنه يحتاج إلى وجود الأساس الصناعي المتقدم والجو العلمي الفائق التقدم والأطقم الشرية (الكوادر البشرية) التي تستطيع تنفيذ « الخيال » إلى « واقع ».. فإذا كان الخيال العلمي هو صناعة صاروخ حربي عابر للقارات، فإن هذا الخيال لا يكون بذات قيمة إن لم يمكن تحقيقه علميًا أي تصنيعه.

وإذًا فإذا سمعنا الذين يقولون بشراء التكنولوجيا.. فقد سمعنا عجبًا وإنتابتنا الدهشة.. الاثنين معًا!!

الفصل الثالث عشر

السياحة عبرة

سمعت بنفسي أحد مشايخ الأزهر السابقين(١) وكذلك كثيراً من الناس يقولون أن الدين يحرم السياحة.. وكان قولهم على سند من واقع أن السائحات متبرجات جداً وأن الفنادق تقدم للسياح الخمور.. كما يمارسون فيها ألعاب القمار.. بإباحة قانونية.. لتحقيق هدف يقول به القائمون على السياحة..أن ذلك « يشجع » على قدوم أفواج السياح و« ينعش » عملية السياحة التي تدر دخلاً كبيراً على الدولة.

ويقول الذين « يحرمون » السياحة، أنه إذا كانت السياحة تتطلب هذه المفاسد والمنكرات فبئست هي.

وهذا قول حق لا يُماري فيه.

فالدين يرفض أي عمل قائم على المنكرات والانحلال والحرام عموماً.

فهل في القرآن سياحة؟

وما هو دليلها؟

وما هو مضمونها؟

تكلم القرآن العظيم نور الله عن الأقوام الذين كانوا من قبلنا في بعض السور؛ مثل قوله تعالى:

﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها؛ وجاءتهم رسلهم بالبينات، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [الروم: ٩].

---

(١) المرحوم الدكتور / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق.

وقوله تعالى:

﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض، فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾ [غافر: ٢١].

وقوله تعالى:

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ [غافر: ٨٢].

وورد بالقرآن آيات أخرى بذات المعنى ولتحقيق نفس الحكمة وهي أرقام [١٣٧ آل عمران، ١١ الأنعام، ١٠٩ يوسف، ٣٦ النحل، ٦٩ النمل، ٤٤ فاطر] وجميعها تبدأ بهمزة الاستفهام مع أسلوب التعجب لحض الناس على السير في الأرض لرؤية آثار القدماء والعلم بعد الرؤية والسمع والفهم كافة العلوم التي تدل عليها « الآثار » وتثبت بالواقع المادي الصارم أن أولئك القدماء كانوا أكثر من الأقوام الحالية في كل شيء وأشد قوة في كل شيء، ومع ذلك ولأنهم كانوا كافرين؛ فإن هذه العلوم وهذه القوة لم تمنع عنهم شيئًا من عذاب الله العزيز القهار.

وبذلك نفهم

أن السياحة مطلوبة بقوة للعبرة والتأسي

وليعلم الناس أن إعمال العلم في غير الحق الإلهي والمنهج الإلهي لا يُجدي شيئًا.. ولا نفعًا حقيقيًا ولا بد أن يبوء بالفشل والخسار ويذهب بأصحابه إلى أن يكونوا حصب جهنم في الآخرة.

فإذا أجرى الناس مقارنة مع أصحاب الرسالات الإلهية وإمامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وجدوا خلود الذكر للحق بالحق وإعلاء الذكر بكل ما هو « صالح » للناس في أنفسهم وفي عملهم ولآخرتهم.. دونما نحت لأحجار تماثيل أو مقابر ضخام

علواً في الأرض بالقسر والهصر واستعباد الناس في غير سبيل الله، فصار الجميع ضياعاً هباءً.

ومن ثم

فإن الدين يعني للناس السياحة بهذا المفهوم للعبرة وليس للفرجة والتبرج والتسلية وإرتكاب المنكرات.

وإذا كان ثمة أنواع وأنماط أخرى للسياحة فيجب أن يلتزم الناس فيها بالآداب العامة مع الحرية الكاملة في نطاق ما أحله الله بغير خروج إلى غيره.

فالعمل السياحي

مثله مثل أي عمل آخر.. لا بد أن يكون صالحًا مؤديًا إلى تحقيق الغرض أي الحكمة من القيام به.

ولهذا

فإن منع تقديم الخمور في الفنادق والمطاعم وغيرها ومنع ألعاب القمار، أمر يتطلبه العمل السياحي المشروع.

كما أن « البيان » للسياح والسائحات بإلتزام ستر أجسادهم، بيان لن يؤدي إلى العمل السياحي؛ إنما يؤدي قطعًا إلى النجاح لأنه في مرضاة الله قد بيِّن ونُفِّذ. ذلك بأن « الرزق » من الله وحده « ذو القوة الرزاق المتين » الذي بيده الخير كله.. إن شاء أعطى.. وإن شاء أمسك.

وكان « الكفرة » يحجون « بيت الله الحرام... الكعبة... البيت العتيق » وكانوا يطوفون حولها عرايا الأجساد!! ليس لهم من عمل إلا « المكاء » أي الصفير و« التصدية » أي التصفيق... وكانوا بأعدادهم الغفيرة يحدثون رواجًا وإنتعاشًا في الأسواق.. سياحة دينية لأعداد غفيرة تشتري من قريش كل ما تعرضه في الأسواق.

وأنزل الله سبحانه قوله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾ [التوبة: ٢٨]. وعيلة يعني فقراً.

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم علياً كرَّم الله وجهه بإبلاغ سورة التوبة إلى الناس في حجة أبي بكر.. والتزم الناس بأمر الله.. فوسع الله عليهم أرضاً شرقاً وغرباً ووسع عليهم رزقاً وفيئاً.. ثم بترولا وذهباً.

﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات: ٢٢]. للذين آمنوا وأطاعوا الله ورسوله.. وليس للذين يعرضون عن حكم الله ومنهاجه في آياته الكريمة.

الفصل الرابع عشر

المال

قال تعالى

أولاً ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ [الرعد : ١٦] .

ومثل هذا الآيات : [الأنعام ١٠٢ ، والزمر ٦٢ ، وغافر ٦٢] .

والمال إنما يأتي من الزراعة ومن الصناعة ومن التجارة ومن الخدمات ، وكل ذلك أساسه « ما خلق الله » فليس للإنسان إلا « العمل » ولذلك قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وقل إعملوا ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

ولما كان الخالق العظيم هو « المالك » لكل شيء .. حتى « العمل » لقوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصافات : ٩٦] .

فإن المال في الإسلام هو مال الله سبحانه وتعالى فيقول تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [النور : ٣٣][1] .

والمال أحد فروع « الرزق الإلهي » محدد سلفًا في كتاب الله « اللوح المحفوظ » لقوله تعالى :

﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢] .

واليقين الإيماني بذلك يجعل المؤمن يسعى حلالاً ليحصل على الرزق الذي أحله الله وكتبه له .

---

(١) المال في النظام الرأسمالي ملك للفرد الذي استطاع الحصول عليه ، وفي النظام الشيوعي الدولة هى مالكة وسائل الانتاج والفرد يعمل فيها مقابل الأجر .

ومن ثم فإن السعي بالحرام للحصول على المال.. إنما سعي فاسد جزاؤه قطع اليد أو زيادة تبعًا لظروف الجريمة ونوعها.

ولأن المال هو مال الله والإنسان مستخلف فيه ﴿ .. وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ [الحديد : ٧]، فإنه سبحانه عندما أمر بالصدقة وأمر بالزكاة وإطعام المسكين وإيتاء ذي القربى واليتامى.. فإنه سبحانه أمر أيضًا بالقرض الحسن، أي بدون مقابل، وجعل هذا القرض لله سبحانه وليس للناس، لأن « المال » هو مال الله وهو الذي يعطى وهو الذي يمسك.

ومن ثم

منع كنز المال وأمر بالانفاق منه في « سبيل الله » حفاظًا على الدين حكمًا ومنهاجًا وعلمًا.

وذكّرنا ربنا أنه خلق الناس ليتعارفوا

﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ﴾

[الحجرات]

ووسيلة التعارف الفاعلة هي التعامل بكافة صوره المشروعة مع كافة شعوب الأرض.. وهذه الوسيلة أعظم الوسائل للرواج التجاري والصناعي والتبادل الثقافي والعلمي والدعوة إلى الله.

فالمال أصلاً مال الله جل شأنه الغني عن العالمين.

ثـانيـًا ولأنه مال الله فقد أنزل الله منهاجًا إلهيًا يبين « كيف » الحصول عليه، كما يُبيِّن فيما ينفق فيه.

١ – فالحصول على لمال دائمًا أبدًا أساسه « العمل » لأن المال أصلاً موجود ويتطلب العمل لإبرائه أي لإيجاده. فأنت تحرث الأرض (وهذا هو العمل) والله سبحانه يزرع ويفلق الحب والنوى ويخرج الثمرات من أكمامها.

ولأن « الله » كريم جداً وقَدَّر في الأرض والجبال أقواتها وبارك فيها.. فإنه لذلك وبالتالي أمرنا سبحانه في قوله تعالى ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [الملك: ١٥](١).

أن نزرع جميع أجزائها.. مهما كان لونه أصفر (صحراء) أو بني (جبل) أو أسود (وادي).. فكل مكان له نباته وكل تربة.

ومن ثم؛ فالقعود عن المشي في الأرض وزراعتها – أيًا كانت هذه الأرض – هو قعود عن منهج الله.

والزراعة تحتاج إلى تكلفة مادية وقوة بشرية وعلمية.. هذه التكاليف عندما تنتج زرعًا حبوبًا وثمرًا.. فإنه ثمنه أعلى من مصاريف الإنتاج، ومن ثم يأتي المال في صورة الربح الذي يحققه العمل في أرض الله بماء الله وشمسه وهوائه.

٢ – والصناعة تقوم على أساس إستخدام معادن الأرض والجبال في إخراج أي إنتاج السلعة.. وبهذه « المصنوعات » فإن الإنسان يستطيع أن يحصل على « أدوات » « القوة » التي بها يزرع والتي بها يعيش والتي بها يدافع عن دينه وعن نفسه وعن وطنه.. إلخ إلخ.

ولهذا

فقد وجدنا السبب المباشر والأصيل والحقيقي لسجود الملائكة لآدم هو أنه « تعلم الأسماء كلها » التي لم يتعلمها أحد غيره.. وأن هذه الأسماء هي كل ما يصنعه الإنسان منذ آدم حتى آخر ذريته.. والتي هي كما وصفها ربنا سبحانه وتعالى.. ﴿ غيب السماوات والأرض ﴾.

ولأن هذه المصنوعات أو الأسباب هي « القوة الفاعلة » في مسيرة الخلافة البشرية.. فإن آدم استحق أن يكون هو أول « خليفة » في الأرض ومنه يكون كل « خلائف » الأرض.

---

(١) المناكب جمع منكب وهو كل مكان في الارض والجبل حتى قمم الجبال وسفوحها.

وإذا قصصنا « حكاية » البشر على الأرض، وجدنا ان كل تطور إلى الأمام فإنما أساسه إكتشافات السنن الكونية.. وصناعة الأسماء.. أو استخدام السنن الكونية في صناعة الأسماء كإكتشاف « العجلة في المركبات » واكتشاف البخار لإيجاد الطاقة ثم إكتشاف الطاقة من « البترول » ثم من « الكهرباء » ثم من « الذرة ».

فبهذا كله

تقدمت الصناعة حتى عرج الإنسان في أغوار السماء وسار بقدميه فوق « تراب القمر ».. من بعد أن غاص في أعماق البحار في غواصات ضخمة قوية ومدمرة!!

وهذه الصناعة

عندما تصنع بإتقان وبشرف نقاء وصفاء المعدن.. فإنها تنتج « سلعًا » لها قيمة مادية عالية تحقق ربحا كبيرًا. وهو ما يعبر عنه بأنه مصدر من مصادر الحصول على المال.. وكذلك في صناعة الدواء وصناعة السلاح.. إلخ إلخ.

٣ – والوسيلة الثالثة للحصول على « المال » هي « التجارة ».. التي تعني التبادل بين السلع المختلفة أو القيمة المالية للسلعة.. ومن هنا نشأ « النقد » المعدني والورقي والصكوك في صورها المختلفة ومن ثم نشأت التجارة في « النقد » عن طريق المؤسسات المالية و« البورصات ».

وأساس « التجارة » ليس الحصول على « الربح » فقط ولكن « التعارف » بين المنتج والمستهلك على جميع المستويات المحلية والخارجية.. في قوله تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. ﴾ [الحجرات].

وشرط التجارة الأهم والقوي

هو « التقوى » أي عدم الغش وعدم الحصول على ربح فاحش وعدم إحتكار سلعة للتحكم في السوق ولي ذراع الناس وإخضاعهم لقسوة الاحتكار.. وعدم

إهدار مصالح الأوطان وتقويض كياناتها.. على مدرجة مرسومة ومخططة لإضعاف الدول ثم قهرها.

فالتجارة أولاً وأخيراً هي «عقد مبادلة» فلزم أن يكون أساسها الرضا والإرادة الحرة المنورة.. أي لا غول فيها ولا إكراه ولا تدنيس ولا غش.

وفائدة «التجارة» أعظم من أن تحصر

فهي عرض للمنتجات ومن ثم تحض على المنافسة التي بدورها تؤدي إلى مزيد من الاتقان والإحسان.. فتكون دفعاً إلى الرقي والتقدم.. وهي أيضاً العامل الكبير في تشغيل وسائل النقل بريا وبحريا وجويا وفي هذا فتح لآفاق العمل في أكثر من ميدان.. كما أنها تعمل على نقل المنافع للناس.. وتفتح الميادين الفكرية لكثير من الأشياء.. ومن ثم تؤدي إلى إعمال الخيال الفكري النظري والعملي والعلمي.. الأمر الذي يؤدي إلى التقدم التكنولوجي في آفاق جديدة وريادة للصناعة والزراعة وغيرها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[تسعة أعشار الربح في التجارة]

٤ – والوسيلة الرابعة للحصول على «المال» هي وسائل الخدمات عموماً.. فالعمل وسيلة للحصول على أجره مالاً.. سواء كان هذا العمل خدمة في الدولة أو مؤسسة أو مصنع أو في السياحة.. إلخ.

وهذه «الخدمات» تدر أموالاً كثيرة جداً جداً إذا ما أديت على وجه طيب مشروع.. حتى أن السياحة في أسبانيا تزيد على ميزانية كثير من الدول.

٥ – والوسيلة التي بسطها ربنا سبحانه للحصول على المال من أموال الناس! هي الزكاة.. وقد جاءت في قوله تعالى:

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ [التوبة: ٦٠]

ورغم أن الزكاة فريضة وشملت حصراً لمن تعطى أو تصرف لهم؛ فإن الله سبحانه جعل من الصدقة ردءاً يصدقها ويقويها في قوله تعالى:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة.. وأولئك هم المتقون﴾

[البقرة: ١٧٧].

فشرَّعت الآية الكريمة الصدقة لأناس آخرين غير الذين وردوا بآية الزكاة وهم ذوي القربى واليتامى والسائلين وكررت المساكين وابن السبيل وفي الرقاب، ثم ذكرت في آيات المدثر قوله تعالى: ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ بيانا وتركيزا على أن الزكاة وحدها وإن كانت هي «الفريضة» إلا أن الصدقة على من ذكرتهم آية البر وآية إطعام المسكين أمر مطلوب ومشدد على طلبه لأن المال مال الله والناس عياله وإفشاء المال بينهم وإطعامهم يؤلف القلوب ويمنع الحقد ويطفئ نار الحسد ويهدر وسوسة الشيطان ويهدر زيغ القلوب.

ولو تمعنا في معرفة أسباب الثورات الدموية في أوروبا.. الفرنسية والانجليزية والروسية وجدنا أن «الجوع» هو السبب المباشر الذي عليه قامت هذه الثورات.

ولنعلم أن «الصدقة» وإطعام المساكين فضلاً عن الفقراء هو تاج الرحمة الذي يضعه العليم الحكيم فوق العدل وفوق عدم الظلم.

والزكاة أحد الأركان الخمسة التي يبنى عليها الإسلام، والمسئول عن جمعها هي الدولة بهيئة خاصة هي «العاملين عليها».. فالدولة لن تتكلف مالاً للموظفين الذين يجمعون الزكاة حيث أنهم أحد المصارف التي شملهم نص الآية.

والزكاة لأنها فريضة ولأنها تجمع بواسطة هيئة مسئولة، فمعنى ذلك أن «الدولة» هي التي تقوم بهذا العمل سيما أن «مصارف الزكاة» لا ينبغي أن يقوم بها أحد إلا الدولة.

ومن هنا جمعها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده خليفته أبو بكر ومن بعده أمراء المؤمنين.

ومن لم يقم بذلك فقد تخلى عن ركن أساسى من أركان بناء الاسلام ومن لا يدفع الزكاة فقد كفر.. فتقوم الحرب عليه كما اقامها أبو بكر على الذين لم يدفعوا الزكاة حتى يدفعوها.. وسميت لذلك بحروب الردة أي أن الذين لا يدفعون الزكاة يكونوا قد إرتدوا عن الإسلام وصاروا كفرة.

ومن ثم

فإن « الدولة » التي لا تجمع الزكاة تكون قد رضيت بالكافرين ويكفرهم وتشيعت لهم وشايعتهم.

٦ – والوسيلة السادسة التي تركها رب العالمين للناس، إن شاءوا اتخذوها.. فلم يذكرها سبحانه لا إيجابًا ولا سلبًا.. وإنما تركها شغلاً للذكر الطيب وإنفعالاً للعمل الصالح وتمديدًا لإجابة الناس على حاجاتهم كإنشاء الطرق والمؤاني والكباري والمدارس والمستشفيات ومراكز البحوث العلمية والترع والرياحات والسدود وإصلاح الأراضي وزرعها وإقامة المحطات الفلكية والأرصاد الجوية وصناعة كل متطلبات الحياة للتقدم في إعمار الأرض ونشر الكتب ووسائل الإعلام والثقافة.. إلخ إلخ.. هذه الوسيلة التي تنفق على هذا الكم الضخم والهائل لا يؤخذ لها شيء من « الزكاة » ولا « الصدقة » لأنها محددة بالحصر؛ وإنما ينفق عليها على أساس من « المصالح المرسلة » فقال أحد أعلام المذهب الحنفي « يوسف بن تشفين » أن يجبى لها « الضريبة » تؤخذ من القادرين.. من أموالهم حتى تقوم الدولة بكافة مرافقها بكفاية وعظيم تدبير وحسن تنفيذ وتدفع للعاملين في هذه المرافق جميعًا رواتبًا شهرية تمتد بهم إلى نهاية العمر قيامًا لهيئة « المجتمع » في الدولة.

ولأن « الضرائب » مصلحة مرسلة

فيلزم أن تكون في حدود المطلوب وبالعدل.. فتؤخذ من الكبير القادر ولا تؤخذ من المساكين أو الفقراء أو العاملين عليها ولا من كل من اشتملتهم آيتي الزكاة والبر. قال تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو..﴾ [البقرة: ٢١٩][١].

ومن ثم

لزم تحديد من هو الذي تفرض عليه الضريبة

وإذا كنت قد بينت الوسائل الستة سالفة البيان للحصول على المال.. فإنما ليست على سبيل الحصر.. فالعمل ذو أنماط كثيرة وأنواع مختلفة.. وطالما أن « العمل » يدر مالاً فهو من وسائل الحصول على المال.

ثالثاً إلا أن الذي يجب أن نعلمه كأساس للحياة

هو أنه وإن كان المال هو خامس المصالح المعتبرة أو الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها.

فإن أهم مصرف للمال هو لبناء المجتمع الإسلامي بناءً عسكريًا كما حضت عليه سورتي الانفال والتوبة للدفاع عن الدين الإسلامي.. إيجادًا له بالعمل به وحفاظًا عليه بالقتال في سبيل الله[٢].

ومن ثم.. جاءت القاعدة الإلهية

« الدين » هو أول الضرورات لأنه لا حياة بدونه.. والنفس والعقل والنسل والمال كلها جميعًا هي الضرورات الأربع القائمة على إيجاد الدين والحفاظ عليه. ذلك بأن الحقيقة الإلهية كامنة في أن إيجاد الدين والحفاظ عليه هو إيجاد الحياة الطاهرة القوية للأمة الإسلامية.

---

(١) العفو أي الزيادة عن الحاجة.

(٢) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

لذلك وبالتالي

فقد توعَّد رب العالمين الذين يزيغون عن « حق » الله سبحانه في قوله تعالى:

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها؛ أحبُّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتربصُّوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [التوبة: ٢٤].

فوصمهم ودمغهم بأنهم منافقون في قوله تعالى:

﴿ .. إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ [التوبة: ٦٧].

وبيَّن مكانهم في جهنم في قوله تعالى:

﴿ .. إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء: ١٤٥].

كما بين رب العالمين القسم أو الفقرة التي يكونوا منها يوم الحشر والحساب في قوله تعالى عن الذين يتخذون المال في الترف وهو صرف المال في غير حاجات الإنسان الشرعية:

﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ [الواقعة].

ذلك بأن « المال » هو مال الله، فلا يُنفق إلا فيما شرع الله، فإن زاغ عن ذلك هلك المال وهلك صاحبه!!

ومثال لذلك ضربه الله سبحانه « حقيقة علمية » في قوله تعالى:

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظٌ من نار ونحاسٌ فلا تنتصران ﴾ [الرحمن].

فأخبرنا العلي الكبير أن « محاولة » الخروج من حافة هذا الكون محكوم عليه بالفشل والخسار والهلاك. ومن ثم فإن كل المحاولات التي تبذل في ذلك، وهي تتكلف المليارات وآلاف العلماء.. هي أموال وجهود ضائعة ووقت يذهب سدى. وهذا يدعو المؤمنين أن لا يشاركوا في هذه « الأعمال » حتى لا تهلك أموالهم وتذهب أدراج الرياح هي وأنفسهم معًا.

رابعـاً في سنة ١٩٥٤ وقعت الحكومة المصرية على اتفاقية حرية التجارة العالمية وإزالة كل العوائق الجمركية، وهي المسماة طبقًا لأوائل حروف كلماتها باتفاقية « الجات » ومؤدى هذه الاتفاقية إلغاء الجمارك وحرية دخول سلع الدول في كافة الدول الموقعة على الاتفاقية وحرية إنتقال رءوس الأموال وعدم فرض رسوم جمركية على أية سلعة وإلغاء الموجود منها لتحقيق حرية التجارة العالمية من أية عوائق.

وفي سنة ١٩٩٠ قامت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها بعض الدول التي تدور في فلكها بضرب قوات العراق في الكويت وفي العراق بدعوى تحرير الكويت من الاستعمار العراقي وإستمر الضرب لتحطيم كل « قوة » العراق حتى بعد إنساحبها بدعوى شل العراق عن أي هجوم آخر. وفي هذه الأثناء ظهر تعبير « النظام العالمي الجديد » على لسان « بوش » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

وتكرر نفس المشهد بعد ذلك بسنوات وبقوة عسكرية متطورة في ضرب يوغوسلافيا بدعوى حماية ألبان كوسوفا.. وظهر نفس التعبير « النظام العالمي الجديد على لسان « بيل كلينتون » رئيس أمريكا.

وبعد أن ظهر للعالم أجمع هول القوة العسكرية المتطورة وخنوع الاتحاد الروسي وضياعه.

فقد ثبت للعالم تفوق الولايات المتحدة الأمريكية عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا.. على كل دول العالم.

ومن ثم؛ فقد ظهر في أفق السياسة العالمية تعبير « العولمة » وتواري تعبير النظام العالمي الجديد.

فما هي العولمة؟

العولمة كلمة أطلقت تعبيراً عن نظام إقتصادي يشمل العالم كله وهو في حقيقته واجهة تخفي وراءها « إحتلال مالي » أمريكي غربي لجميع دول العالم المتخلف.

ذلك بأن العولمة نظام عملي لتنفيذ إتفاقية الجات، هذا النظام أصحابه الحقيقيون هم أصحاب الشركات والمصانع الضخمة ورءوس الأموال الكبيرة، والتي تعمل على حرية إدخال منتجاتها وسلعها من جميع الأنماط والأشكال ولجميع إحتياجات الناس فقراء ومتوسطين واغنياء بأسعار تبدأ بأن تكون في أدنى سعر، فيقبل المستهلك على شرائها فتركد بالتالي السلع الوطنية ثم تتراكم وتبور فتغلق المصانع الوطنية أبوابها وتفصل بالتالي عمالها؛ وهنا يحدث الانهيار الاقتصادي الكامل لتلك الدول المتخلفة(١).

ولأن هذا النظام ملفوف تعسفه في قفاز من حرير، ولأنه لا يخفى على أحد كشفه، فقد تعامل أصحاب العولمة مع حكومات الدول النامية وليس الشعوب، بمثابة أنها حكومات إستبدادية تخضع شعوبهم حتى الأعناق لكل طغيانهم ومفاسدهم، وبالتالي يضمنون بواسطة جبروت هؤلاء الحكام أن يتم تنفيذ مخطط العولمة.. طبعاً نظير ترضية هؤلاء الحكام؟!! ولو غروراً وخداعاً.

ولأن هذا المخطط ذو دروب كثيرة وأيدي طويلة ويترتب عليه « إبادة » مقومات تلك الدول؛ فإن هذا إقتضى أن تكون له جوانب عديدة تزيل كل « المعوقات » التي قد تقف أو تحول دون تنفيذه.

---

(١) المقصود بالدول المتخلفة هنا هو الدول غير الحرة والحكم فيها إستبدادي والفساد يشمل معظم مرافقها وعلى غير درجة واعية إداريا وجاهلة تكنولوجيا وعلى غير وعي علمي وليس بها كوادر صناعية.

فالاتحاد السوفيتي كان عقبة كبرى ضد النظام الرأسمالي.. وبواسطة سباق التسلح معه الذي سُميٍّ بالحرب الباردة تم إفلاس هذا الاتحاد حتى لم يجدوا طعامًا للناس ومن ثم صدر قرار بإلغاء الاتحاد السوفيتي نظير إطعام الروس بفتات محسوب من أمريكا وبطانتها.

والإسلام.. هو العقبة في حسابات السياسة الغربية بعد الاتحاد السوفيتي والشيوعية.

ولأن الإسلام يشمل ١ / ٦ سكان العالم المقدر أتباعه بمليار نسمة مسلمين.. يسكن أغناهم فوق بحار من البترول وتقع معظم دولهم في مركز العالم القديم.. ولأنه دين قتال سبق أن كان أكبر إمبراطورية في التاريخ منذ ألف عام ثم تكرر ذلك على أيدي الأتراك فوصل فينا عاصمة النمسا. واحتل كل شرق أوروبا.

ولأن الإسلام كتابه قدسي إلهي محفوظ

ولأن الإسلام دين ودولة وعلم.. عميق وشامل وكامل

ولأن الإسلام دين القتال في سبيل الله سبحانه

فقد خطط أصحاب العولمة لتضييعه أو على الأقل تقليم مخالبه وتسييسه وقصره على الصلاة والصيام والحج دونما أي شيء آخر.. وبدأ التخطيط بتضييع لغة القرآن.. وتم تنفيذ ذلك على مستوى كل مراحل التعليم منذ الحضانة! ثم قاموا بوضع مناهج تعليم في الطبيعة (الكون والفضاء؟!) مع بعض العلوم الأخرى وقالوا إن القرآن كتاب روحي نوراني ليس فيه علوم مادية حديثة.. واخترقوا الأزهر بهذا المنهج المادي! وقال علماء الدين إنها مناهج مادية ليس لها صلة بالقرآن؟!! جهلاً من عند أنفسهم (يراجع الفصل التاسع من هذا الكتاب).

ثم نفذوا إلى أهم شيء في المجتمع وهو « المرأة » فنفخوا فيها مقولات المساواة بالرجل وحرية المرأة في الانفصال عنه كحرية الرجل في تطليقها؟!

ثم دخلوا إلى القيم والفضائل فتعمدوا عقد مؤتمر التنمية والسكان العالمي سنة ١٩٩٤ بالقاهرة وأصدروا فيه قرارات بحرية الإنسان (إمرأة ورجل) في جسده وإباحة الإجهاض والشذوذ الجنسي في بلد الأزهر الشريف.. مع طرح فرص إنضمام النساء للجمعيات النسائية الأجنبية المنحلة!!

وأدخلوا في مصر وبلاد المسلمين بواسطة كل وسائل الاعلام تقاليد العري فصار النساء كاسايت عاريات... يسرن وحدهن في الطرقات حتى منتصف الليل وبعده.. وظهرت نتائج هذا في خطف النساء واغتصابهن وقتلهن.. وأعملوا الفساد في التشريعات النسائية وكرسوا القوانين العلمانية التي تحكم بها البلاد ووصفوا الذين يطالبون بالحكم بكتاب الله يصفة الارهاب وألصقوا كل جرائم مجرميهم بالإسلام.. سبا وقذفًا ثم شجعوا بعض المنحلين والمنحرفين والعملاء على الطعن في الإسلام وفي محاولة إختراق آياته المحكمة في الميراث.. كل ذلك مع الانهيار والانحلال في كل وسائل الاعلام والثقافة والتنكيت على المتمسكين بدينهم والاستهزاء منهم واستئجار بعض العلماء في السير قدمًا في ركابهم باقوال هزيلة وأحاديث موضوعة للدخول على عامة الناس بالغش والغرور.. فإذا ثار بعض الشباب لوجه الله، أخذهم الاستبداد أخذاً مهينًا.. وعنيفًا.

ثم أقاموا التدريبات العسكرية المشتركة لإدخال الرعب في نفوس أفراد القوات المسلحة. ومن ثم القهر النفسي.. فلا تفكر في ردِّهم إذا حاولوا إغتيالنا ولا نقف في وجههم إذا أردنا.. أو أرادونا؟!

وغمروا جامعاتنا ومدارسنا بالثقافة الغربية واللسان واللباس الغربي قائلين لنا في بهرجة نظامهم وعلو آلاتهم وتقدم أجهزتهم أنهم الأعلى.. أنهم الأقوى.. أنهم الأعلم.. أنهم الأفضل.. فعلينا إتباعهم صاغرين.

وخلطوا الذكور بالإناث في جميع مراحل التعليم مرورًا بسن المراهقة، فضاع الحياء من الإناث وانتشر الزنى بينهم بأوراق عرفية ليس فيها ولي ولا إشهار.. إنما الأمر سر

ووسائل منع الحمل.. وضياع لكل الدين.. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء**]. حتى جامعة الأزهر وقعت في نفس الوحل فاختلط فيها الشباب بالشابات.. وبذلك كله يسير المجتمع كأنه قطيع من الأغنام إلى حتفه في مهاوي الانحلال الاجتماعي بقيادة الثقافة والاعلام والتعليم والأزهر طبقًا لمخطط التغريب الثقافي والاجتماعي والقانوني وتأييد الاستبداد ومدِّه بكل أجهزة ووسائل قمع الحريات تحت عنوان « الاستقرار »!!

ولأن « الإيمان » عميق الجذور قديم التاريخ في مواجيد المصريين خاصة، فقد كتب الكثيرون يفضحون « العولمة » ومخالبها وأهدافها فوصفها بعضهم بأنها (شعار حديد لظاهرة قديمة يحاول فيها القوى إخضاع الضعيف ويتم عن طريقها تقصير المسافات الفاصلة بين المجتمعات الإنسانية لتيسير إنتقال السلع والأشخاص ورءوس الأموال والمعلومات والأفكار والقيم، وعن طريقها تُلغى الحدود والحواجز التشريعية والجمركية أمام حركة نقل السلع ورءوس الأموال وتراجع الانتاج الوطني ليحل محله الانتاج العالمي)[١].

وجاء بتحقيق صحفي ما يلي في شأن تنفيذ « مخطط العولمة » أنه (وقد تأكد خلال الفترة الماضية منذ تطبيق الاتفاقية (إتفاقية الجات) صعوبة تنفيذ الإجراءات الوقائية المسموح بها للدول إتخاذها خاصة بالنسبة للدول النامية.. وتضيف الدكتورة/ نادية عبد السلام (المستشار بمركز العلاقات الخارجية بمعهد التخطيط القومي) أن تقديرات الأمم المتحدة للخسارة الكلية لمجموعة الدول العربية بلغ سنويًا ٨٨٧ مليون دولار، وتقدر خسارة مصر بمفردها ٢٣٦ مليون دولار سنويًا)[٢].

---

(١) مقال للأستاذ أمين هويدي وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة سابقًا، بجريدة الأهرام ص:٢٨ يوم ١٥ فبراير سنة ٢٠٠٠.

(٢) تحقيق بجريدة الأهرام تحت عنوان – تحرير التجارة في ظل إتفاقية الجات.. الحقيقة والخداع.. العدد الصادر صباح الجمعة ١٧ مارس سنة ٢٠٠٠ صفحة ٦ كتبته الصحفية عزة علي.

خامساً ولا سبيل أمام مصر والدول العربية للإفلات من هذا المأزق القاتل للوطن والناس جميعًا إلا تنفيذ المنهج الإلهي السالف بيانه، وتأكيد الإيمان بالله وحض الناس على عدم التعامل مع المنتج الأجنبي واعتبار ذلك حربًا مقدسة.

ولنعد إلى إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾

[آل عمران: ٣١، ٣٢].

الفصل الخامس عشر

الإدارة
التوجيه والتنفيذ

« الإدارة العامة » كاسم لعلم ظهر للناس حديثًا، قُعِّدَ وجعلت له مفاهيم وأساليب ومبادئ عامة أساسية ونظم تطبيقية وطرائق عمل تنفيذية؛ من مصدر عملي حقيقي هو « موهبة » القائد الاداري في إدارته لعمله وتسجيل خطواته ورصد نتائجه.. لتحقيق طموحه وحريته في إستغلال أمواله.

وإذا كان التنظيم وطرائق العمل هو « التنفيذ »؛ فإنما لتحقيق الهدف الأهم للإدارة بل وأعظم أهدافها، الا وهو اداء العمل تمامًا على الذي احسن في أسرع وقت ممكن وبأقل تكلفة مادية وبأيسر جهد بشري.

ولأن المسلمين بعد زهوة إمبراطوريتهم

تمزقوا في ولايات، وأخلدوا إلى شعوبية الحكم في بهرجة وزينة الحياة الدنيا.. وقعدوا عن الاجتهاد في كتاب الله.. حتى صار بمرور الوقت معناه في أذهان الناس أنه كتاب عبادة ولغة وشريعة.. وأن ذلك قد أتى كل أكله على أيدي علماء الأصول الأربعة... وليس بعدهم من شيء... فاقفلوا باب الاجتهاد.

كما قال الجهل بالكتاب أنه ليس بالقرآن علم.. حتى إذا نادى احدهم[1] ان يستنبطوا علم الجغرافيا من القرآن ويدرسوه في الأزهر؛ قالوا إنه كافر أو مجنون. فتركوا القرآن وركعوا أمام ما يأتيهم على أيدي « الخواجات » من فتات الظن والاعتقاد وفتات العلم وزخرف الأجهزة والأدوات... وسمعوا لمن قال إن القرآن الكريم كتاب غيبيات وعبادات.. فصاروا بهذا المفهوم الضال المضل في غيابات عما في القرآن العظيم من العلوم الكونية والإنسانية و﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ و﴿ وأنزلنا عليك الكتاب

---

(١) الشيخ الإمام/ محمد عبده.

تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل] و﴿ كل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ وتقوقعوا داخل نفوسهم مختبئين في قفاطينهم وعمائمهم وإطلاق اللحى ومسك المسابح . . فإذا قلت لهم إن الله قال أن ننظر إلى آفاق الكون ونتفكر فيه إختفوا في قوله تعالى : ﴿ وأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ونسوا أن القرآن هو « الذكر الحكيم » وأن الرسول هو « المذكِّر » وقالوا بجهل شديد بائس فقير إن العلوم المادية ليس لها من صلة بالقرآن الكريم!!

وحين هنا

أخلد المسلمون إلى التخلف والضعف والهوان على أنفسهم وعلى الناس حتى قام المشركون منذ عشر سنوات على إعمال القتل والاغتصاب في المسلمين بأوروبا وروسيا تصفية لهم ودحراً للإسلام وإحتقاراً للمسلمين.

ورغم أن مصر

قد أنشئ بها « معهد الادارة العامة » على مشارف العقد السابع من القرن الماضي، وضم هيئة تدريس مصرية وأجنبية على مستوى عالٍ جداً، وتلقى علوم الادارة العامة فيه نخبة من كبار قيادات الحكومة فضلاً عن المحاضرات الخاصة التي ألقيت على أعضاء القيادة العليا للدولة(1).

إلا أنه لغياب الحرية ولغياب نظام الثقة في النظام الاداري الحكومي وإصرار المسئولين على ذلك، فإن المعهد قد فشل في التقدم بالعمل بالمفاهيم الادراية الصحيحة في دست الدولة . . التي ظلت تعمل بالقرارات الادارية الفجائية حسب إنفعالات العمل والظروف المستجدة الاثنين معًا.

ولأن « السلطة » كانت شديدة المركزية . والمسئولية كثيرة الشيوع لكثرة عدد الموظفين دون نظام عمل إداري صحيح، فقد إنهارت كثير من المؤسسات إداريًا وماليا

(1) حل محله في نفس المبنى الآن أكاديمة السادات للعلوم الادارية!!

ظهرت في الخسائر الضخمة والمهولة في شركات ومصانع القطاع العام، والتسيب والرشوة في أداء القطاع الحكومي، وضياع هيبة القيادة وبالتالي الضبط والربط في الشرطة.. وكان قمة الفشل قد تمثل في الهزيمة العسكرية الثقيلة والسريعة في ٥ يونيو سنة ١٩٦٧.

ورغم ذلك

فإن الأمر ما زال – تقريباً – كما كان.. يسير في نفس الطريق مع كثير الدهشة والتعجب لوجود وزارة للتنمية الادارية.. وأن أحد أساتذة علم الادارة على قمة مجلس الوزراء.

وبسم الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم

نبين للناس بعض القواعد الأساسية للإدارة من كتاب الله الكريم..

أولاً: فالقاعدة الأولى هي: تفويض السلطة

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله.. ﴾ [النساء: ٨٠].

وبين العلي الحكيم مضمون التفويض عمليا في قوله تعالى:

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.. ﴾ [آل عمران: ٣١].

ثم بين ربنا نتيجة عدم الاتباع في قوله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾

[محمد: ٣٣].

أي « بطلان » العمل.

وأساس التفويض

هو تنفيذ منهج وأوامر الذي فوض السلطة أي صاحب السلطة الأصلي. فالذي فوضت إليه السلطة ليس له أن يخالف الذي فوض له السلطة، بل يجب أن يلتزم ويظل

ملتزمًا بما فوض فيه من تحقيق أهداف محددة طبقًا لمناهج وبرامج عملية وهو ما يُطلق عليه كأسلوب عمل في علم الادارة العامة بالتنظيم وطرائق العمل.

وتفويض السلطة ينقل إلى المفوض له أمرين الأول ذات السلطة – وإن ظلت لصاحبها – والثاني كل المسئولية عن مباشرة العمل موضوع السلطة.

وهذا التفويض إنما شرِّع للقضاء على:

١ – تركيز السلطة التي لا يمكن للفرد الواحد ممارستها.

٢ – الهيمنة الفردية والاستبداد الشخصي.

٣ – الخطأ المتوقع من جرّاء ثقل وضخامة العمل.

٤ – عدم إمكانية التنفيذ لعدم قدرة المتابعة لمراحل التنفيذ المختلفة.

ذلك بأن مباشرة

تنفيذ العمل لا بد أن يتلاحق تبعًا لمراحل وخطوات التنفيذ من قسم إلى آخر ومن مسئول إلى آخر. وكل قسم أو عامل من هؤلاء، هو مسئول عن العمل ومسئول عن الذين يعملون تحت إمرته وإشرافه.. ولأن « كلاً » مسئول عن عمله فيلزم أن تكون له « سلطة » القيام بالعمل « وسلطة » الإشراف على المعاونين له و« سلطة » تشغيلهم ومحاسبتهم طبقًا للقاعدة التالية:

ثانيًا: القاعدة الثانية التي هي:

كل مسئولية يجب أن يقابلها سلطة

طبقًا لقوله تعالى:

﴿.. ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سُخْرِيًّا﴾

[الزخرف: ٣٢]

فالرئيس الأعلى « يُسخِّر » من هو دونه مباشرة، والذي دونه يسخر الذي يليه..

وهكذا.. وهذا يستلزم أن تكون لمراحل هذا « التسخير » خطوات عملية محددة واضحة ولها مواقيت زمنية محددة.. ولا بد أن يصاحب هذا « سلطة » كل رئيس مُسخِّر في توقيع الجزاءات المناسبة على من يخطئ أو يهمل أو يتوانى عن عمله، وكذلك سلطة الإحسان إليه في صورة من صور التقدير لقوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾

وقوله تعالى: ﴿ومن أساء فعليها﴾ وبذلك يتم تنفيذ العمل في أحسن صورة ومضمون وأقل وقت وجهد وتكلفة.

ولنضرب لذلك مثالاً

فقد كان قانون هيئة الشرطة يتضمن في ختامه جدولاً للجزاءات مبين فيه مدى سلطة كل « رتبة » في توقيع الجزاءات على الرتب الأقل.

فكان كل واحد من هيئة الشرطة يحترم تمامًا الرتبة التي تعلوه.. ومنضبط تمامًا في أعماله المكلف بها.. فلم يكن ثمة تهاون وبالتالي لم يكن ثمة تسيب أو إهمال أو إهدار لقواعد الضبط والربط والأدب والاحترام.

فلما ألغي المرحوم السيد شعراوي جمعه هذا الجدول وجعل « سلطة » توقيع الجزاءات لرتبتي « العميد » و« اللواء » ولأن الغالبية العظمى من « المآمير » ورؤساء الادارت والأقسام كانت من رتب أقل من العميد، فإن الضباط الصغار صاروا لا يحترمون كبارهم ورؤساءهم إلا شكلاً ثم ضاع كثيراً من هذا الشكل، وتداعى ذلك على العمل، فصار الالتزام به أدبيًا أكثر منه إلتزامًا أمنيًا وضبطًا وربطًا لكل عمل.

والأدهى من ذلك أن الجنود والصف صاروا يقدمون الشكاوى ضد المآمير ونوابهم والضباط ويفتعلون – في غالب الأمر – وقائع مبالغ فيها أو كيدية ثم يتعين وقوفهم « معًا » أمام المحقق العميد أو اللواء.. وما في هذا من إذلال إداري لهؤلاء الرؤساء وخروجًا على « حقيقة » العمل الإداري الصحيح.

وقد ترتب على كل هذا ان صار هؤلاء الرؤساء يدارون مَن دونهم ويغضون الطرف عن تجاوزاتهم مهما بلغت حتى لا يقفوا « معهم » موقف المساءلة الظالمة .. الأمر الذي ترتب عليه عدم إستطاعة هؤلاء الرؤساء القيام بمسئوليات وظائفهم وبالتالي التسيب الذي يؤدي إلى الإهمال وضياع هيبة القائد وفشل المسئولية .. وقد رأينا أثراً واضحاً لذلك في حادث العدوان على السيد رئيس الجمهورية ببورسعيد .. كما ان الشائع بين عامة الناس ان محاضر الشرطة لا تكتب إلا بسند لها من داخل القسم أو من خارجه؟!

ولا شك ان هذا القرار الإداري المتمثل في إلغاء جدول الجزاءات إذا أضيف إليه القرار الاداري بتشغيل الداوريات اللاسلكية وإلغاء الداوريات الراجلة المعمول بها في أعظم بلاد العالم (أمريكا – ألمانيا – فرنسا – النمسا – ايطاليا وغيرها) .. قد ساهم كثيراً في كثرة وقوع الجرائم التي تفشت أخيراً في مصر تحت اسم البلطجة وخطف النساء من الشوارع ومركبات الميكروباس.

ثالثًا : ولما كان تنفيذ العمل يتطلب علماً معيناً فإن القاعدة الثالثة وهي :

قاعدة : الشخص المناسب في المكان المناسب. تطبيقًا لقوله تعالى :

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾.

وكلمة « لا تقف » فيها زجر عن ان يقوم أي إنسان بأي عمل لا يكون على علم به وفاهمًا له وقادراً على القيام به على أحسن وجه.

« فالعلم» ضرورة أساسية عند الذي يتعرض للقيام بأي عمل .. حتى يكون متقناً لعمله وعارفا لمآله في النتيجة النهائية له.

ومن باب أولى وبالضرورة أيضًا ان الذي يصدر القرار الإداري لا بد ان يكون على « علم » كامل بمضمون القرار وبالنتيجة المبتغاة منه.

ولنضرب مثالاً على مجرد « تأخير » إصدار القرار الإداري لحساب « المافيا والحيتان » التي تبتز أفراد الشعب المصري بلا رحمة ولا شفقة ضاربين بالقوانين عرض الحائط تحت أكنة من الغش والفساد.. قالت جريدة الأهرام: [تحت عنوان: مؤامرة الفياجرا: ويشرح هذه الخطة الدكتور زكريا جاد نقيب الصيادلة بقوله: إن وزارة الصحة ظلت ترفض تسجيل الفياجرا بحجة أن اللجان تدرس وعندما أقرت اللجان تسجيل الفياجرا تقدمت نحو ٨ شركات لانتاجها بطريقة رسمية وبسعر رخيص لا يتجاوز ٤ جنيهات للقرص ولكن لم تحصل أي شركة على الموافقة لأنه طبقًا لاتفاقية حماية الملكية الفكرية منحت الدول النامية ٥ سنوات سماح تتحرك فيها دون الالتزام بقواعد الاتفاقية وانتهت هذه المهلة في يناير سنة ٢٠٠٠، وكان يمكن أن تمتد هذه المهلة ٥ سنوات أخرى بشروط وكان يمكن تسجيل الفياجرا قبل يناير سنة ٢٠٠٠ لأنه دواء له فترة حماية ٢٠ سنة؛ لأن الشركات التي تكتشف أدوية جديدة تضع إكتشافها فيما يسمى « بالميل بوكس » حتى يناير سنة ٢٠٠٠ ليصبح من حق هذه الشركات التي أودعت إكتشافها في هذا الصندوق أن تتمتع بما يسمى بالتسويق الاستثماري وتنفرد بالسوق ويمتنع على أي شركة أخرى إنتاج أو توزيع هذا الصنف. وبالتالي ما كان يمكن حدوثه قبل يناير سنة ٢٠٠٠ يستحيل بعد ذلك؟! وهذا هو سر تأخر تسجيل الفياجرا في مصر؟!! وتقول كل الشائعات ان ما حدث كان لحساب المافيا والحيتان؟!!.. حيث بلغ حجم التهريب للفياجرا ما يزيد على ٥٠٠ مليون جنيه في عامين!!](١).

ومع ذلك يظل المسئول عن هذا الفساد الادراي والعالم بكل ظواهره وباطنه والمنفذ لأساليب الغش والابتزاز في موقعه قائمًا؟!! فما هي حمايته؟ ومن الذي يحميه؟ ولحساب من يحميه؟

(١) جريدة الأهرام صفحة: ٣ يوم ١٩ مارس سنة ٢٠٠٠ تحقيق كتبه الصحفي/ سيد علي – بعنوان (حيتان الدواء).

رابعـاً : قاعدة السلطة في حدود الاختصاص وعدم تعارض الاختصاصات

ولأن الادارة العامة هي في ذاتها قواعد تنظيمية لتيسير وتحسين والاسراع بإنهاء العمل بأقل تكلفة، فإن ذلك إقتضى تحديد السلطة في دائرة إختصاص محددة أي في أعمال محددة في أمكنة معينة وأزمنة مبتغاة ومحددة، ذلك حتى لا يحدث تعارض بين « السلطات » نتيجة تجاوز حدود « الاختصاصات » . ومن هنا جاءت القاعدة الرابعة ألا وهي : [السلطة في حدود الاختصاص] أي أن كل صاحب سلطة يلتزم بحدود إختصاصه لا يتجاوزه ولا يبغي ولا يَفْرُط ولا يطغى . . منعاً للتنازع على الاختصاص مما يؤدي إلى تعطيل إتخاذ القرار اللازم لإجراء العمل المطلوب في الوقت المناسب .

وإذا قلنا بيانا عن أهمية هذه القاعدة الادارية الأساسية ضربنا مثالاً بذلك الذي يحدث في الموافقة على المشروعات المختلفة سواء كانت هذه المشروعات مصرية صميمة أو مشروعات لمستثمرين أجانب فكتب أحدهم أن عدد الإجراءات اللازمة للموافقة على مشروعه عدَّها فوجدها ٤٠٩ إجراء . . طبعًا بين جهات مختلفة أي إختصاصات مختلفة . . وتنازع بين الجميع الأمر الذي تطلب كل هذا العناء ثم التوقف عن العمل . . واهدار مصلحة الدولة .

وإذا كانت هذه القاعدة لمنع تعارض الاختصاصات ولرفع التنازع بينها .

فإنها أيضًا تمنع « إغتصاب الاختصاص »

فالمهندس الزراعي لا يصدر قرارًا خاصًا بعمل مهندس الري وهذا بدوره لا يصدر قرارًا خاصًا بعمل عالم في المجاري والسدود المائية . . فإذا قال هؤلاء العلماء أن بحيرة السد العالي – طالما لا توجد قناة تحويل أو تمرير الماء وقت الفيضان إلى ما بعد السد العالي – فإنها ستصير دلتا في ظرف ٨٠ عامًا مضى منها ٣٠ ثلاثين سنة حتى الآن . . فإن إصدار قرار بحفر ترعة تحت ماء البحيرة؟! في أول هذه البحيرة من ناحية السد وإقامة روافع ميكانيكية جبارة لترفع الماء – من هذه البحيرة التي بها الترعة تحت الماء –

إلى ترعة الشيخ زايد، يكون قراراً ضالاً مضلاً لأنه بني على خطأ ثابت معروف ثابت في كتاب علمي له إحترامه وبأقلام وتقارير خبراء عالميين مصريين وأجانب بإتفاق كامل بينهم[1].

فمن هو المسئول عن إصدار هذا القرار؟

وهل يحاسب على إهدار أموال الشعب؟

خامساً

أما القاعدة الخامسة فيعرفها علم الادارة بقاعدة الفريق الواحد الذي يقوم بالعمل، ذلك بأن « العمل » وإن تشعب تنفيذه إلى سبل مختلة؛ فإنه يجب أن يكون كل من ينفذه مرتبطاً بدرجة النوايا الحسنة وبالتوجيه الأساسي للقائد الاداري لاتمام العمل على أحسن ما يكون. ولنضرب مثالاً على ذلك بالقواعد الادارية في قوانين المرافعات المدنية والتجارية وقوانين الإجراءات الجنائية التي قد يظن أو يتوهم البعض بأن هذه القوانين لا تضم قرارات إدارية.. ولكن الصحيح أن المحكمة تدير الجلسة وتتخذ في شأنها ما تراه من تأجيل وإيقاف وتعليق وشطب وحكم.. وكل هذه الإجراءات في حقيقتها أعمال إدارية تستطيع المحكمة أن لا تتخذها إن كانت الدعوى ظاهرة أمامها وبالتالي جاهزة للحكم فيها الأمر الذي يعطيها الحق قانوناً الفصل فيها ضاربة بأساليب الفساد وثقوب القانون عرض الحائط.

ولكن عدم إتخاذ « القرار الصحيح » أدى إلى تراكم القضايا حتى صارت بالملايين عبئاً ثقيلاً بل ومخيفاً يهدد بإهدار العدالة وتكريس الظلم الذي هو أبشع نتيجة يمكن أن تلم بالوطن شعباً وحكومة[2].

---

(١) كتاب: « شخصية مصر – الجزء الثاني – عبقرية المكان » للدكتور/ جمال حمدان.

(٢) قال السيد وزير العدل في تحقيق بجريدة الاهرام ان عدد القضايا الآن ٣٢ مليون قضية؟!

سادساً

هذه القاعدة ليس لها وجود قاعدي في « الادراة العامة » ولكنها قاعدة إلهية ينص عليها القرآن في أعظم آياته.. السبع المثاني.. بل وفي الآيات الثلاثة الأولى منها وهي قوله تعالى:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾[1].

ولأن الله سبحانه مالك كل شيء فقد وضع سلطته عليها بين الرحمة السابغة الدائمة. بين الحنان الإلهي من فوقها ومن تحتها ومن أولها حتى آخرها.. هذا الحنان هو منتهى العطف والرأفة والشفقة!!

هذا « الحنان الإلهي » هو الذي يجب أن يتحلى به القائد الذي يقوم على إصدار القرار والذي يقوم على تنفيذه.

هذا الحنان بخلق الله هو الذي يلزم أن يشمل أعطاف القرار وشمائل ومواجيد الذين يقومون بتنفيذه.. الرحمة بالناس ومصالحهم.. الرحمة بالمصلحة العامة والرحمة بالمصلحة الخاصة.

فقاعدة « الحنان الإلهي » هي تاج الأمانة التي يجب أن تكون نوراً في القلب وأن تكون هي « الروح من أمر الله » التي تسيطر على كل خلجات وسكنات مواجيد الناس.. الذين أصدروا القرار والناس الذين يقومون بتنفيذه والناس الذين يحقق تنفيذ القرار الصحيح مصالحهم.

ولهذا

وصف رب العالمين الذي فوضه سلطانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد المسلمين وسيد الناس أجمعين بقوله تعالى: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [التوبة: ١٢٨].

---

(١) رب الشيء مالكه ورب العالمين يعني مالك العالمين اي مالك كل شيء اي صاحب كل شيء.

ومن الحنان ان يكون قوله حسنًا عطوفًا رقيقًا ﴿ ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فهذا هو الذي يجعل «الجميع» فريقًا واحداً.

سـابعـاً والقاعدة السابعة هي «قاعدة الصدق»

هذه القاعدة هي التي تحوط كل القواعد السابقة

بل هذه القاعدة هي التي تتغلغل في كل عمل يقوم به إنسان أي كان موقعه في قومه.

ومن ثم

فليس عجبًا أن تكون أول قاعدة في خطاب الخلافة الذي ألقاه أبو بكر الصديق يرحمه الله صاحب الرسول وأول من آمن به من الرجال هي قاعدة:

الصدق أمانة والكذب خيانة

وقال رب العالمين عن موقف الناس في حسابهم يوم القيامة:

﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ [المائدة: ١١٩].

والصدق لا يتجزأ ولا ينقص، لأن «الأمانة» أحادية المضمون لأحدية الألوهية.. «لا إله إلا الله» «رب العالمين» «ملك يوم الدين».

وفق الله العظيم أبناء مصر إلى تحقيق منهاجه كاملاً،

صلاح الدين أحمد أبو العنين

المحامي بالنقض - عضو إتحاد الكتاب

القـاهـــرة

مدينة نصر. ت: ٢٨٧٦٣١٥

١٩ صفر ١٤٢١ هـ. قمرية

٢٣ مايو ٢٠٠٠ شمسية مصرية

نبــذة عـن المؤلــــف

١ – من مواليد ٢ مايو سنة ١٩٢٦ بطنطا.

٢ – تخرج في كلية الحقوق جامعة فؤاد (القاهرة) سنة ١٩٤٨.

٣ – الدراسات العليا للشريعة الإسلامية بذات الكلية سنة ١٩٤٩.

٤ – تخرج في معهد الادارة العامة لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٦١.

٥ – تخرج في معهد الدراسات العليا لضباط الشرطة سنة ١٩٧٤.

٦ – درس الطبيعة والفلسفة الإسلامية والغربية وتفسير القرآن العظيم والتصوف واللغة العربية والبلاغة وكثير من كتب العلوم الكونية المختلفة – دراسات حرة لأكثر من ثلاثين سنة.

٧ – ألف الكتب التالية:

أ – « الله والكون » عن خلق السماوات والأرض والنجوم والملائكة، وحجر أساس علم الطبيعة، وأن الأرض ثابتة في مركز الكون وكل شيء يدور حولها – سنة ١٩٨٣.

ب – « رحلة في أعماق الكون » عن خلق السماوات والأرض ودراسة مقارنة للنظريات العلمانية وإثبات فساد كل تلك النظريات. بالأدلة والبراهين العلمية المادية والنظرية والقرآنية وكان أن أصدرت وزارة التربية والتعليم قرارها الوزاري سنة ١٩٩٢ بشراء هذا الكتاب ووضعه أول قائمة الكتب التي إختارتها وذلك: لتثقيف المدرسين بجميع مراحل التعليم (وليس التلاميذ).

جـ – « حكاية البشر علميًا » عن الحياة الأولى ثم الحياة الدنيا وبيان كيفية خلق الأرض وتسخير الشمس والقمر.. ثم الحياة الدنيا وأدلة ذلك علميًا وقرآنيًا –

ثم البعث وأدلته، وأصدرت وزارة التربية والتعليم قرارها سنة ١٩٩٥ بشرائه ووضعه في أوائل الكتب العلمية البحتة.

د - « القمر في الطبيعة » بيان لصحيح منهج التفكر ماديا ونظريًا، واستعراض كامل لكل نظريات العلمانيين عن وجود الكون صدفة! والأدلة والبراهين العلمية المادية التي تبين فساد تلك النظريات ثم إثبات أن الأرض ثابتة وهي أول ما خلق الله ثم خلق ما فيها وبعد ذلك خلق السماء ثم آخر ما خلق النجوم ثم بيان كيف تتكون أهلة القمر وكيفية تحديد مواعيد أول الشهر القمري ثم بيان كامل عن الأقمار الصناعية والأقمار الاعلامية.. إلخ. وقد أصدرت وزارة التربية والتعليم قرارها سنة ١٩٩٧ بشرائه ووضعه في أول الكتب العلمية البحتة لمرحلة التعليم العلمي الثانوي.

هـذا

وقد جاءت هذه الكتب جميعًا قبل كتب أساتذة الجامعات والعلماء

هـ - « الله والرسول » وهو كتاب في أصول الدين والإيمان بالغيب تطبيقًا على العلوم المادية في الكتب الأربعة سالفة البيان.

و - كتاب « قوة مصر في القرآن الكريم مستنبط من صحيح معاني آياته الكريمة.

أهـــم المـــراجـــع

١ – القرآن الكريم.

٢ – تفاسير القرآن العظيم للأئمة: الطبري، والقرطبي، والجلالين، والفخر الرازي، والزمخشري، وابن كثير، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وصفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني.

٣ – نظم المتناثر من الحديث المتواتر للفقيه الشهير بالكتّاني.

٤ – شروح البخاري للأمامين النووي والقسطلاني.

٥ – أصول الإيمان للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٦ – إعراب ثلاثين سورة للإمام عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه.

٧ – علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف.

٨ – أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة.

٩ – شذور الذهب للإمام الأنصاري.

١٠ – الأطلس العربي سنة ١٩٦٧ وزارة التربية والتعليم.

١١ – قصة السماوات والأرض للدكتور/ محمد جمال الدين الغندي. والدكتور/ محمد حسن.

١٢ – الجيولوجيا للدكتور/ حسن صادق وزارة المعارف.

١٣ – شخصية مصر – عبقرية المكان للدكتور/ جمال حمدان.

١٤ – سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا للدكتور/ جمال حمدان.

١٥ – قواعد الجغرافيا العامة للدكتور/ مصطفى عامر والدكتور/ محمد عوض محمد.

١٦ – ابن سينا بين الدين والفلسفة دكتور/ حموده غرابة.

١٧ – محاورات رينان الفلسفية للأستاذ / علي أدهم.
١٨ – نيتشة للدكتور / عبد الرحمن بدوي.
١٩ – شوبنهور للدكتور / عبد الرحمن بدوي.
٢٠ – مجلات ديوجين – منظمة اليونسكو.
٢١ – رسالة اليونسكو – منظمة اليونسكو.
٢٢- The OASIS Of SIWA by AHMAD FAKHRY
٢٣ – كتب « الله والكون » و« رحلة في أعماق الكون » و« حكاية البشر علمياً » و« القمر في الطبيعة » و« الله والرسول » صلاح الدين أبو العنين.

الفهـــرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تليفون: ٢٨٧٦٣١٥

الناشر

« شمس الفكر » ٧/٩١ شارع أحمد الزمر – مدينة نصر

بالقاهرة – تليفون ٢٨٧٦٣١٥

رقم دولي: 7 - 03 - 5653 - 977

رقم الايداع: ٩٦٢٦/ ٢٠٠٠

"شمس الفكر"
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة كتب تأليف الأستاذ
صلاح الدين أبو العنين

اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الصفحات	دار النشر
١- "الله والكون"	صلاح الدين أبو العنين	٢٥٣	دار الفكر العربى
رقم الإيداع ١٩٨٣/٣١٩٣			
٢- "رحلة فى أعماق الكون"	صلاح الدين أبو العنين	٩٥	شمس الفكر
رقم الإيداع ١٩٨٦/٢٠٨٦			
٣- "حكاية البشر علمياً"	صلاح الدين أبو العنين	١٧٥	شمس الفكر
رقم الإيداع ١٩٩٥/٤٢٧٢			
٤- "القمر فى الطبيعة"	صلاح الدين أبو العنين	٣١٠	شمس الفكر
رقم الإيداع ١٩٩٧/٥٢١٠			
٥-"الله والرسول"	صلاح الدين أبو العنين	٥١٠	شمس الفكر
رقم الإيداع ١٩٩٨/٧٢٧٦			
٦-"قوة مصر فى القرآن الكريم"	صلاح الدين أبو العنين	١٥٨	شمس الفكر
رقم الإيداع ٢٠٠٠/٩٦٢٦			
(تحت الطبع)			

لأول مرة في تاريخ مصر

فعندما سُئِل زعيم إسلامي في العقد الخامس من القرن الماضي – عن منهاج القرآن الكريم للحكم ؛ أجاب بأن ذلك يبين عندما يكون الأمر بيدهم . . .

والسؤال كان يعني «منهج الحياة في جميع نواحيها»

ولأن هذا الأمر يتطلب دراسة متأنية وعميقة لآيات القرآن الكريم مع دراسة واقع مصر والأمة العربية والإسلامية، وجغرافية مصر وجيرانها ومركزها في العالم، وإستنباط «الروح من أمر الله» الذي يبني «الحياة» أرضًا ومكانًا ومكانَةً . . . أفرادًا وشعوبًا وأمةً ؛ فإن ذلك إقتضى بالضرورة دراسات كثيرة ومتأنية في مجالات الحياة المختلفة . . .

ومن ثمَّ

فقد إستغرق ذلك وقتًا . . بُذل فيه جهدًا . . فكانت هداية الله فيه علمًا ونورًا . .

المؤلف